عناق محرم

إهداء

إلى والدى ، والدتى ، أختى الوحيدة إسراء

إلى الوجع الذي انبثقت منه تلك الكلمات

إلى الجميع

السر في كونك شخصا مثيرا للملل، هو أنك تقول كل شي.

فولتير

مقدمة

أكتب الآن تلك الكلمات بأحاسيس مُتخبطة وغير مستقرة.. امرأة محظوظة أم هجرها الحظ منذ سنواتها الأولى ؟! ، قوية أم هشة يمكن لأى عصفور صغير دهس قلبها؟
. !الفراغ يحطم القلوب في لمح البصر، والحيرة تحطم العقول بذات الزمن تتملكني الصدمات المتكررة والتخيلات التي أهرب بها دوما من واقع قبلته دون إرادتي.. أشياء تتحكم بكل ما في بلا قرار مني غير الاستسلام لها .
ووحدها الشمس هي التي جعلت من نفسى نفس غارقة فى حب أشعتها.. فأصبحت جزء من جسدى ، من روحى ، من كيانى . أنا والشمس والحيرة واللاقرار.. هذا كل ما في الأمر

ليلة الشمس

أعيش مع جدتى بعد هجران أمى لى وسفرها للخارج من أجل تأمين مستقبلى كما أخبرتنى ، أى مستقبل هذا بدون قلب أعيش به فأنت فؤادى يا أمى ، أى طموح هذا لفتاة تفتقد رمز الحنان فى جوفها ، لا أتذكر يوما أن حياتنا كانت متعسرة فلماذا هجرتينى ، ربما يكون هناك عذرا إن كنا متعسرين ماديا .
أغفرى لى يا أمى فقد أكون قاصرة الفهم .
أحيانا أرسل لكى مع أشعة الشمس رسائل خاصة فهل شعرتي بها ؟ هل أدفأت قلبك من جهتى ؟

إن أشعة الشمس بالنسبة لى الروح التى تساعدنى على إكمال الحياة ببهجة ونشوة بل وحب ، أشعر دوما بحديث تلك الأشعة هامسة لى :
" اصمدى " ثم أحدث نفسى ما معنى " اصمدى " هل سأواجه كبوات أو ربما تكون أفكار عبثية من الدرجة الأولى ، تراجعى يا زهرة واتركى أوهام حديثك للشمس .

كان أبى رحمه الله يخرج فى بعض الأيام قبل شروق الشمس بعدة دقائق ليتنفس بانبثاق تلك الأشعة من السماء ، كنت أتعلق بذراعه ما إن شعرت به خارجا ، حتى تعلمت منه تلك العادة عادة انتمائى للشمس ، عندما كنت أجلس بجواره وهو ينظر إلى الشمس كأنها جزء منه كنت أقول له بمزاح " كأنها محبوبتك مولع بها أنت يا أبى " كان يجيبنى بهدوء " الطبيعة هى من تعطينا القدرة على ممارسة تلك الحياة بأناقة .

يوم من الأيام رأيته واقفا بالشرفة مبكرا احتضنته قائلة " إلى ماذا تنظر؟ " . قبلنى أبى حينها على جبينى قائلا " تقصدى ماذا أسمع ؟ ، وأكمل حديثه قائلا " إنى أسمع صوت الكروان أشعر أنه موسيقى طبيعية خلابة ."

ذكريات أبى فى حب الطبيعة جعلتنى اليوم متيمة بها ، فهى تذكرنى برائحتك .
أعتقد أن الذكريات هى التى تمنحنا القدرة على البقاء بعد فراق أحبتنا ، فنستنشق من الأشياء روائح من نشتاق إليهم فنحيا على أمل لقاءنا بهم فى أكوان أخرى ، فعندما تمتزج الأشياء بالأشخاص تتغير نظرتنا إليها فتتحول الأمكنة إلى كنوز بالنسبة لدواخلنا .

كانت نشوتى فى أيام الأجازة الخروج مبكرا كى أشم أشعة الشمس التى تبهج بها الأرض ، كنت أرافق أنفاس الشمس طوال اليوم حتى أودع أشعتها بعد حديثى إليها لأرجع إلى جدتى و أعانقها بحب .

أشعة الشمس تحاوط جسدى وأكون بداخها ناظرة إلى السماء محدثة تلك الطيور التى ترافق بعضها البعض فى شكل مبهر ، مستمعة إلى نغمات الكون .

تلك الليلة هى ليلة يوم الجمعة يوم إجازتى ، أريد أن أنام مبكرا ، فغدا موعدى فى الإنطلاق مع الطبيعة ، أعتقد أن ذلك اللقاء سيكون مثير درجة أنى لن أنساه طوال حياتى ، ذهبت لأغلق باب الشرفة واختلست النظرات لأرى القمر حدثته قائلة : لماذا لا ترسل لبعض القلوب ضوء للاشتياق لنا ؟ أريد أن تشتاق أمى لرؤيتى مثلما أشتاق لها ، شعرت بلسعة برد فى أرجائى

وهممت لأدخل غرفتى وأغلق الباب فى وجه البرد ، وإذا بى أجد ظرف مكتوب عليه بخط كبير إلى محدثة الكون نظرت باستغراب ثم جذبته فى يدى وفتحته متلهفة لأعرف ما به وجدت رسالة مكتوبة " أعلم أنك تحبى الحديث إلى الكون ، لو اعتبرتينى جزء من هذا الكون ، يمكنك حينها أن تعتبرينى كسف السماء بالنسبة إليك" .
التوقيع " لقبينى إذا قبلتينى جزء من الكون "بالفت".

ذهبت إلى سريرى سريعا أتت جدتى بكوب من اللبن ، أسرعت فى إخفاء الظرف المجهول تحت وسادتي ، همت جدتى للجلوس بجواري فحدثتها قائلة "أحبك يا حبيبتى" فأخذت تمس على رأسى وقبلتنى على جبينى وحاولت أن تذهب كى تتركنى فهى تعلم خطتى غدا ، قبل أن تذهب بادرتها قائلة " هل ستأتى أمى هذا العام ؟" تأخرت جدا خمس سنوات لم تشعر يدى بدفء يدها ، خمس سنوات أسيرة التمنى أنا بين رجوعها وعدم ذهابها مرة أخرى ، ذهبت أمى إلى العمل إلى عالم المادة إلى كون سحيق ولكن مازلت أعشقها ، ذائبة أنا فى اختلاق الأسباب لها كى تعود .

ذهبت للعمل فى السعودية وجعلت عمقى يرهق من كثرة التفكير فى لمسة يدها ، فى حضن أحيا به ، أحن إليها رغم كل شىء ، همست فى أذن جدتى
" أريد أن أعانق أمى كل شهر مرة هل يجوز لى أن أحلم بذلك "
سقطت دموعى دمعة وراء الأخرى حتى أرهقنى البكاء .

عانقت جدتى مخاوفى وخرج صوتها وسط العناق يقول :
" اختيارات الآخرين أقدارنا واختياراتنا هى أيضا أقدار للآخرين "
الأقدار يا ابنتى وراءها حكمة قد نعرفها فى وقتها وقد يبتعد فهمنا لها لوقت ما ، فمعرفتنا بحكمة أقدارنا إما نعرفها قريبا أو بعيدا ولكن حتما سنعرفها . واختيار والدتك للسفر قدرك ، و نحن لا نختار أقدارنا بل نتعايش معاها .
أخذ بكائى يزداد فى حدته واستمرت جدتى فى حديثها " قريبا ستعود أمك لتغمرك بحبها "
جاءت كلمات جدتى الأخيرة وقد أثلجت قلبى وهدأت من روعى .
همهمت فى عمقى قائلة
" ليتها ترجع ، أخشى أن تعودى يا أمى بعد فقدى "

قبلت جدتى جبينى مرة أخرى ممسكة بكتاب مستلقى بجوارى على السرير قائلة يبدو أنها ستكون ليلة برائحة الحب، فأنا أعلم جيدا أنك تتنفسى من كتب الحب فى الصوفية ، أعلم يا جدتى أنت تريد إبعاد مجرى الحديث عن عودة أمى ، ولكن لن أنسى حتى وان تحدثت فى أمور أخرى ، إنى مفتقدة لأنفاس الحب .
كانت تتعرف جدتى على الكتب من ألوانها وصورها وحديثى لها عن مضمون كل كتاب على حدة .
تظاهرت أنى أمسك بكتابى حتى أغوص فى عمقه سامعة موسيقى الكون الرائعة ككل ليلة .
وجدت عينى مستقرة على تلك الجملة " للحب فصول أروعه فصل الوفاء المتكامل ".
تركتنى جدتى وفكرى يجول بين الذكريات

تذكرت انتظارى لعودة أمى كثيرا، يوم فقدان أبى ووفاته ويبدو أن ظروفها كانت لا تسمح بعودتها ، آه يا أمى لو تعلمي كم انتظرك أبى وهو على فراش الموت كى تسألى عنه ، كى

تمرضيه فى ساعاته الأخيرة،كم من مرة نطق باسمك وهو يتنفس فالقا صدره من قسوة المرض، لو علمتى بما يكنه لكى فى صدره لعودتى له حافية القدمين . تركنى أبى بعد هجرانك لنا بثلاثة أعوام ، ليتك ما سافرتى وليتنا قدسنا الثلاث أعوام المتبقية لنا كأسرة بسيطة يحمل بيتها الهدوء فى كل أركانه .لو تعلمي كم كان بيتنا عبارة عن قطع من القماش الأسود يمشى على الأرض ، وأنا غائبة عن الكون لا أرى غير صورتك فى مخيلتى يخفف عنى ألآلام الفقد ، سأعترف لكى يا أمى أنى ضمن هؤلاء الذين يتعاطون الخيال كمهدأ لكبوات الحياة نعم وصلت لتلك المرحلة .
تنفست الصعداء ودعوت الله أن ترجع أمى قريبا .

تذكرت ذلك المجهول من هذا الذى يرسل لى رسالة عبر الشرفات رسائل ورقية على الطريقة القديمة ، وكيف وصل إلى غرفتى وتسلل إلى شرفتى ووضع لى هذا الظرف ؟ مكتوب على الظرف من الخارج إلى محدثة الكون أعلم أنى أحدث الكون ولكن ربما الكثيرون يحدثونه مثلى فأنا أعلم الكثير من محدثى القمر والسماء ، ربما أرسل لى عن طريق الخطأ ؟ غفوت وأنا أفكر فى رسالة المجهول وما معنى لو اعتبرتينى جزءا من الكون ؟ وما معنى إلفت تلك ؟

ما إن لبثت فى غفوتى حتى شعرت بجدتى وهى تحاصرنى بالغطاء حتى لا أذوب فى البرد المعاصر لنا تلك الأيام ، وكأن شهية البرد أن يزعجنا ويجعل الشمس تنفر من ضايفتنا ، شعرت بجدتى تقرأ بجوارى بعض الآيات ، كم من مرة أحسستها تذوب نوما وكأنها طفل صغير مدلل ، أتعلمي يا جدتى أن وجهك هو الشمس الثانية لى ، أتعلمي أنى اعتبرك أمى وأستمد منك الحنان المشتاقة إليه ، أصبحت أشتهى الحنان درجة إدمان مادة مخدرة ، أخشى أن أتناول الحنان من أى إناء يقدم لى وبه غناء رنان باسم دفء الحنان .

أدين لك أيتها الجدة بأنك جعلتينى انبثق من الموت إلى الحياة ، انبثقت أنا من الموت ، وأعلنتى أنت على الدفء بكل ما تملكين من حواس وجوارح لم تبخلى يوما على بالنصح ودوما أغمرتينى بلهفة الحب . كل شيء بداخلك كان يبعث الهواء فى داخلى : ملابسك ، يدك ، كلماتك ، أنفاسك ، ذكرياتك ، بهجتك ، حزنك ، حتى القصص التى ترويها لى فى أوقات الأفراح والأحزان لديك ، هواء برائحة الحب .

جدتى لا تجيد القراءة والكتابة ويبدو أن حكمتها ناتجة عن تجاعيد وجهها ، وربما كما قالت لى من قبل
" الأوجاع الكبيرة تعطيك دروسا حية لا ننساها طوال حياتنا "
دوما كانت جدتى مؤمنة بأن الآلام والأوجاع تعطى الإنسان خبرات واسعة . وعندما أستفسر عن تلك الأوجاع كانت تجيب إجابة واحدة ما أتذكره يا ابنتى تلك الدروس التى جعلت كل تلك التجاعيد تظهر على وجهى ، بل نفسى

غرقت فى موتتى الصغرى تلك الليلة وأنا أتمتم بالحديث " سأختلق الأسباب غدا لأتحدث مع أمى هاتفيا ، قبل خروجى من المنزل "

توصيلة للشمس

استيقظت اليوم على صوت الكروان ، صوت موسيقى يشعرك بالانتعاش فى أقصى درجاته ، ذهبت نحو جدتى وعانقتها قائلة : اليوم يوم بهجتى يوم اتصالى بأمى ويوم إنتعاشى بالشمس، ليت هناك مواصلة تجعلنى على مقربة من أشعة الشمس ، أعتقد أنى سأقبل بأى مواصلة فلا بأس من بعض التعب للقاء رفيقتى على مقربة .

يجب أن اتصل بأمى الآن لأسمع أنفاسها ، دقات قلبها ، أريد أن أعانق كل شيء فيها ولو من خلال الهاتف ، أريد أن أعانق بهجتها ، حزنها ، أحتضن كل تفاصيلها .
أريد أن أترجاها فى أن أعانقها هذا العام ، وتعود ولو لفترة وجيزة ، لأشبع لهيب اشتياقى إليها ، لأخدر قلبى من صرخاته لاشتياقه إليها .

ابتسمت لى جدتى إبتسامة رغم حزنها تشعرك بالأمان معها ،
أسرعت نحوها قائلة : ماذا بك جدتى ؟ أجابتنى فى نبرة شجن "أخاف عليك" . لم تزد جدتى عن الكلمتين
لم أفهم شيء ، نبرة صوتها مشعة بالألم ،كلماتها كأنها منبعثة من كون مكتوب عليه الأوجاع هنا مجانية .
لم أسال جدتى عن سر حزنها وأسرعت فى وضع قبلة على خدها قائلة لا تخشى من أى شيء فانا بخير واليوم بالنسبة لى يوم مبهج جدا ، انسى كل ما حدثتك عنه الليلة الماضية .

مسحت على رأسى قائلة : ألم تقل زهرتى أنها ستتصل بوالدتها هيا أسرعى وهاتفيها ، وأعلنى لها عن اشتياقك للمساتها ، ولا تنسى أن تقولى لها والدتك أيضا تشتاق إليك .

نعم سأتصل ولكن بعد ساعة من الآن كى تكون أمى استيقظت من نومها. أجابتنى جدتى إذا لنذهب إلى الإفطار . إذا هيا بنا إلى المطبخ كى نجهز وجبتنا ، ذهبت مع جدتى ، لأسحب سخان الشاي لأصنع كوبين ، وذهبت جدتى لتجهيز بقية الوجبة ، الكوبين أمامي لأملأ الكوب الأول لم أشعر إلا بجدتى وهى تصرخ توقفي لقد امتلأ الكوب يا ابنتى ، انتبهت يا للهول لقد سرحت عفوا جدتى ، اجابتنى فى من تفكرى بهذه الدرجة ؟ ضحكت لا أفكر فى أحد حسنا سأنظف المكان وسأتى فورا للإفطار . ذهبت لطاولة الإفطار وليس فى ذهني سوى الرسالة المرسلة متسائلة بداخل نفسى من الذى يريدني أن القبة بالفت هذا وماذا تعنى الفت تلك ؟ انتهيت من الإفطار على الفور وقمت بتنظيف المكان .

ثم هرولت نحو الحاسب ، دخلت على جوجل وكتبت " الفت " ووجدت نتيجة البحث فى القاموس ما يلى " الألفة محبة ومودة وصداقة " ومعنى آخر " النّظر إلى شيء نبَّه إليه ليُهْتَمَّ به ".
ثم بحثت عنها فى العلوم ووجدت الآتى : "و الأُلْفَة (في علم النفس) : خاصةُ تجاذُبِ الظواهر النفسية في المجال الشعوريّ بتداعي الأفكار وترابُطها .
و الأُلْفَة (في الأَخلاق) : وشيجة بين شخصين أَو أَكثر ، يحدثها تجاذُب الميول النفسية ، كصلة الصداقة ولُحْمة القرابة .

ما تلك الحيرة ؟ من ذلك الشخص الذى يريد أن يكون بيننا صداقة ومودة وتجاذب في الأفكار من أين يعرف ميولى وأفكارى ؟ سأجن . يجب أن اذهب لصديقتى سارة لأحدثها عن تلك الحيرة ، ربما تفيدنى بشىء. وهل يا ترى امرأة فقد اعتدنا أن نلقب الأنثى فالفت ، أم رجل وذكر الاسم كناية عن رغبته فى وجود مودة بيننا .

أمى ، أعتقد أنها قد استيقظت الآن ،
هرولت نحو الهاتف وقلبى يتأهب لعناق أمى الصوتى ، ومع رنين الهاتف وجدت داخل عقلى حديث " سأعلن لها أنى سأصاب بالهلوسات إن لم أراها قريبا ، سأبيح لها أن حضنها يبعث فى روحى الحياة ، يشعرنى بتناغم الكون كله معى ، سأقول لها أنى فى غربة دائمة بدونها، سأنهى حديثى معها بقولى " انى أحن إلى وطنى عودى يا أمى " كل هذا مر على رأسى قبل أن ترفع أمى سماعة الهاتف قائلة : زهرتى الصغيرة ، اشتقت إليك كثيرا . وقبل أن أتفوه بأي كلمة أكملت حديثها قائلة : لدى خبر مثير أريد أن أخبرك به . أثارت أمى فضولى ، سارعت أتنفس بقوة من أنفاسها داخل الهاتف ، أقبل كلماتها ، فسارعت قائلة : ليتك تقولى ما يغمرنى فرحة يا أمى جعلت كلماتى تعانق كلماتها وهى تقول لى : سأرجع إليك غدا يا زهرتى .

تراجعت حينها عن كل خططى المرسومة كى أجعلك تعودى فى أسرع وقت ، تراجعت عن كل الكلمات التى جهزتها كى أقولها لكى .
وأجبت بتلقائية و بلهفة :
ليت غدا اليوم يا أمى أريد أن أعانقكى بشدة ، برفق ، بأمل
أجابتنى أمى بكلمة واحدة " أحبك ".
جاءت الكلمة على مسامعى كأنها العصا السحرية التى أثلجت فؤادى .

أعطيت جدتى الهاتف التى أقبلت على صوتى المدمع من شدة نشوتى بقرب لقاء أمى ، أعطيتها الهاتف لتتأكد بنفسها لتعرف أنها ستقبل ابنتها بعد مرور خمس سنوات .

أعطيتها الهاتف والأمل يدب بداخلى وأغانى الكون تنشد من حولى ، الكروان يناديني ، شروق الشمس يقول لى هيا استقبلينى ، هيا أبهجينى معك ، سأسرع يا شمس وسأعدك أنى يوما سأجد توصيلة لكى أقرب منك أكثر فما أجمل أن يلتقى الأحباء ، الرفقاء ، الوصل رائع يا رفيقتي .

ذهبت لأرتدى ثيابى لألحق بصوت الكروان عن قرب ، لأنشد فرحتى فى الفضاء " سأعانق أمى غدا " هرولت إلى غرفتى والدموع تجف من على وجنتى متجهة نحو دولابى البنى المخطط بخيوط الشمس ، عثرت على فستان أبيض استعداد للخروج إلى الحديقة حديقة مفتوحة للزوار المهوسين بالطبيعة ، لا تغلق أبوابها طوال اليوم ، ارتديت فستانى الياسمينى متجهة لتقبيل جدتى قبل خروجى ، كونى بخير حتى أرجع اليك برائحة الورد التى تغلف هديتى لأمى .

أجابتنى جدتوهى تتجه نحوى " زهرة لا تخرجى لننتظر والدتك سويا ، نحكى الذكريات ، نجهز أحوالنا كى تغمرنا الفرحة غدا ."
قالت تلك الكلمات بنبرة غير مفهومة ،أجبتها دون تفكير دون أن أسألها عن عمق طلبها لى ، عن إلحاحها لعدم خروجى ،

يجب أن أخرج كى ازداد حرية ، يكفى أن يكون سبب لخروجى إحضار هدية تليق بحضور أمى ، تليق بإجابة أمى لطلبى دون أن أتفوه به أعتقد أن هذا سبب كاف .

لوحت مبتعددة " لا تقلقى يا جدة ، سأرجع سريعا وسأسمعكى كثيرا "
خرجت مبكرا والناس نائمون ، الشوارع خالية ، غير منزعجة بالزحام ، مشيت على مهل أراقب الشمس وهى تشق السماء ، أشم رائحتها ، أتحسس نموها ، ها هى انبثقت الأشعة وسط السحاب الأزرق ها هى أخذت الحياة تدب فى الكون كله ، الأشعة تلتف حول قلبى تطمئنه وصوت الكروان يدق أبوا جدران قلبى تنفتح أمام رائحة الورد ، قلبى يرقص على أنغام العالم المتكامل .

ها هى أمالى تنتعش حرة طليقة فى جو مفتوح وهواء جديد ، تلك الحديقة لم يفسد الحضارة معالمها ، لم تفسد هوائها ، لم يحاصرها التلوث فى كل جوانبها .
تنتعش عواطفى ، تثلج روحى ، ،لحن رائع يحاوطنى تحت الشجرة التى اخترتها للجلوس ، ألوان الفراشات من حولى ، السحاب ،الزهور ، الهواء ، الشمس . كل ذلك يجعل روحى تطير فى رحاب الكون
أغمضت عينى وتركت لعقلى الحرية ،تركته يتحدث ويمتزج بأعماق الطبيعة دوما كانت تقول لى جدتى :
" الطبيعة حرة فكونى مثلها كى تستطيعى أن تسمعى حسيسها ، وتسمع أنفاسك "

شعرت بأن هالات من رأسى تخرج ببطء صعدت لأعلى لتمتزج بأشعة الشمس قائلة لها : أهلا رفيقتى اشتقت لروحك .
سمعت أنفاس مرهقة تحدثنى مرحبا زهرة " الكون كله يتعانق معك اليوم " ارتعش جسدى لم اعرف حينها لما ارتعش جسدى هكذا ووجدت نفسى أتمتم عناق عناق عناق .. معلنة بصوت مسموع لا أريد أن يتعانق معى اليوم أحد ، ولكن أريد أن يمتزج الكون كله بى غدا لأعانق أمى .

لم أعرف أن كلماتى كانت بمثابة رفض لمساعدات الكون لى اليوم ، لم أعرف أن الكون لم يسمع سوى الجملة الأولى
" لا أريد أن يتعانق معى اليوم أحد "
كانت رسالتى واضحة جدا لا أريد .... أحد .

لم انتبه إلى هذا كله إلا فيما بعد .
أخذت أحدث جوفى ورحى غارقة فى السماء الزرقاء ستصل أمى غدا وسأذهب بعد قليل لإحضار سلسلة على هيئة قلب إليها كنت قد رأيتها فى الشارع الخلفى وأثارت اعجابى . اخترت القلب كى لا تنسانى وأظل فى وجدانها دوما ، سأخبرها أننى بدأت اجازة نصف العام منذ يومين وأنى مرشحة للعمل كمعيدة بجامعتى ، سأقول لها أنى كرهت هجرها لى ،أريد أن أمارس حبى لك كابنة وتمارسى حبك لى كأم .

فرح وحزن

رجعت لى هالتى الممزوجة بالشمس رجعت ببطء فظلت تسحب نفسها من الكون بهدوء حتى عادت إلى رأسى . ما إن عادت حتى التهبت مما رأيت ، بدأت الشمس تبهت حتى اختفت وسط السحاب . يبدو أنها ستهجرنى بقية اليوم ، لا بأس سترجع ربما غدا .

هممت قائمة أرتب ملابسى من الحشائش الملتصقة بها وودعت صوت الطبيعة ، وقررت أن أذهب لسارة صديقتى كى تأتى معى لشراء هدية أمى ،وكى أبث فيها الفرح ، ستفرح جدا عندما أعلن لها عن المحادثة التى تمت بينى وبين أمى وإخبارها لى عن رحلتها ووصولها لى غدا .

أشعر أن الجو أصبح هائج غير مريح ، اضطرابات فى الهواء خفيفة لا تمنع من ذهابى إلى صديقتى سارة .حسنا البيت قريب سأتمشى حتى أصل.
أثناء سيرى تذكرت حديث لى مع صديقتى ، ذاك الحديث الوحيد الذى لم أخبرها به من تلقاء نفسى رغم اتخاذى لسارة صديقة إلا اننى لم أبح لها عن فؤاد إلا عندما سألتنى هى ، فمنذ ثلاثة شهور تقريبا ، اتفقت معى سارة على أنها ستكون فى ضيافتى الليلة ، فرحبت بها واتفقنا أن تأتى لى فى الساعة السادسة .

فى السادسة مساءا دق جرس المنزل ، هرولت إلى الباب مسرعة بفتحه كى أرحب بصديقتى . بعد ترحيبى بها سلمت سارة على جدتى بدأ صوت جدتى يغنى بفرح " رائع من يجد صديق روحه متطابقة مع روحه " نظرت لسارة التى تشتهى حديث جدتى نظرت إليها فى ابتسامة تؤيد كلام الجدة .
أخذت سارة إلى غرفتى وأغلقت الباب من خلفى
تملك الخجل سارة عند باب الغرفة. أمر يبعث على الحيرة، فتلك هي المرة الأولى التي تبدو هكذا. ربما هو خجل أو على الأرجح حيرة في أمر ما، حاولت أن أقطع حبال ذلك الإحساس الذي لا أفهمه كليا من بين نظرات وتحركات سارة.
- مرحبا يا سارة تفضلي.
- شكراً زهرة.
- سارة أهناك ما يحزنكِ. ماذا بكِ؟
- بل ما يحيرني. زهرة ما الذي بينك وبين الدكتور.... و تريدي أن تخفيه عني. قبل أن تجيبي أعلمي انكِ إذا أخفيتي عني فلن تجدي من تدفعكي شجاعتك للحديث إليه أبدا. أخبريني يا زهرة ولا تكوني غامضة لي أنا الأخرى.

تلجلجت فى الحديث وقلت :- ماذا من أخبرك ، أقصد من أين جئتى بهذا الحديث ؟

بدأت سارة تجيبنى بلطف :- سأريحك يا زهرة علمت من محمد صديق فؤاد وأرجوكى أخبرينى ماذا بينكما كى أطمئن وسأجيب على جميع تساؤلاتكى بعدما أطمئن عليك .

- سأقص عليك يا سارة :
منذ ثلاثة أشهر تقريبا ، وجدت إضافة فيسبوكية مقترنة برسالة مضمونها
" أحبك يا زهرة ، أريدك زوجة لى "

حينها أحسست فى نفسى رعشة قوية ، سأصدقك القول رسالته أثرت فى كيانى، شعرتها حانية وهذا ما أشعر أنى أفقده . حينها أحسست فى نفسى بداية لحب بداية لهوى بداية لهواء نقى .

أجابتنى سارة فى غضب يا لك من ساذجه أنتى تعلمى جيدا أن فؤاد هذا يكبرك بأعوام كثيرة ، كيف تصلى لهذه الدرجة من السذاجة .

طردت أفكارى المسيطرة على نفسى وصعدت السلم إلى أن وصلت إلى شقة سارة وضعت يدى على الجرس حتى فتحت صديقتى وقامت بالترحيب بى .
قالت لى تفضلى يا زهرة ، أجبتها أهلا سارة ولكن لا وقت للترحيب ، سترجع أمى غدا سأعانق أمى غدا ، سأعلن لها عن أوجاعى بدونها ، كل هذا بعد ساعات يبدو أن الحظ سيكون حليفى تلك الأيام
أذهلت سارة ثم أدخلتنى إلى غرفتها (غرفة سارة مليئة بالتفاصيل من تلك التفاصيل " ألة الكمان ") كانت سارة تقول لى إن ألة الكمان ساحرة تنتمى إلى الواقع فترى واقع غيرها قبل واقعها لذلك أحببتها .
كنت أجيبها لا أفهم ودوما كانت اجابتها الصمت .

ما إن دخلنا الغرفة حتى دخلت والدة سارة وقدمت لى جاتوه الشيكولاته الذي أحبه ، هل يا ترا مازلت امى تتذكر ماذا أرغب وأى الأشياء التى اتمنع عنها مثلما تتذكر والدة سارة .

تركتنا والدة سارة بعد الترحيب بى ودار الحوار بينى وبين رفيقتى :-

- أتقولى يا زهرة إن والدتك سترجع غدا ، هل سترجع أم ستقولى لى الآن ككل مرة (نعم ولكنى نسيت كلمة فى أول الجملة)
" اتمنى " كنت أقصد أن اقول لكى أتمنى أن ترجع أمى غدا !!

- لا حقيقة يا سارة سأعانق أمى غدا فقد اتصلت بها صباح اليوم وأخبرتنى بذلك .

- أنا سعيدة لأجلك يا رفيقة ، اذا سأكون فى ضيافتك غدا كى أسلم على والدتك .

- ولكنى أريد منك طلب ، أريدك أن تأتى معى لمحل قريب من هنا كى أشترى لأمى هدية احتفالا بقدومها (سلسلة على هيئة قلب) ما رأيك .

سارة / اختيار الهدية جيد ، سأستأذن أمى أولا قبل أن أتى معك .

ذهبت سارة إلى والدتها ،وأثناء ذلك أخذت الأمانى تدور من حولى – عودى يا أمى كى أستأذن منك ، عودى كى أمارس كل أعمال وواجبات الابنة بحذافيرها.
سقطت منى دمعة وراء دمعة . ونظرت من النافذة التى فى غرفة سارة ، الشمس غائبة ؟ لا أحب ذلك الجو المتسم بالغموض جو مخيف بالنسبة لى أشعر وكأن عاصفة سوف تحل بعد ساعات .

جاء صوت سارة قاطعا تفكيرى ، وافقت أمى يا زهرة بشرط أن أعود بعد ساعة من الان ، لأنى سوف أساعدها فى بعض الأعمال المنزلية ، ولكن عندما علمت بخبر قرب رجوع والدتك وافقت على خروجى معك لمدة ساعة .
ابتسمت لها ، ثم عاد صوتها يقول حسنا سأذهب لأرتدى ملابسى .
قلت فى نفسى " غدا ستحيا كل أعمالى المنزلية كابنة ".

حسنا سارة ولكن قبل أن تذهبى أود أن أخبرك بشىء غريب ، ليلة البارحة كنت أغلق باب الشرفة قبل دخولى إلى الفراش ووجدت هذا الخطاب داخل الشرفة . تعجبت سارة وأجابتنى خطاب لمن ؟ التقتت منى سارة الخطاب وبدأت تقرأ النص ، ثم قالت لى مرسل هذا الخطاب لمحدثة الكون ، وأنتى تحبى حديث الكون يا زهرة ؟ يا لها من مغامرة ، لا يوجد أى دليل على الراسل ؟ ولا أى تفصيلة ولكن ما رأيك بأن نفسر الخطاب ربما نجد أى دليل على شخصية الراسل ؟ أجبتها لا بأس جعلت أردد على مسامع سارة (يقول اعلم أنك تحبى الحديث الى الكون) ثم صمت بدأ صوت سارة يقول اذا الخطاب مرسل اليك ولا شك فى ذلك اجبتها وربما لغيرى فلست الوحيدة فى هذا الكون الذى ينتمى للشمس والقمر . أجابتنى سارة قائلة فرضا انه لكى معنى ذلك انه يعرفك جيدا ويعرف ميولك يا زهرة تنهدت تنهيدة قلق وقلت لها ومن هذا المجهول ؟ من تتوقعى يا سارة أجابتنى لا أدرى ولكن يريد أن تلقبيه بالفت هل تعرفى ما معنى الفت تلك ؟ أجبتها نعم بحثت بدخل جوجل وباختصار معناها الانيس والصديق . اجابتنى باستنكار انيس وصديق ، مجهول يريد أن يكون صديق وانيس لك يا للعجب . أخذت شربة ماء وقلت لها حسنا يا سارة دعك من هذا الموضوع الان وهيا لنذهب .

ارتدت سارة ملابسها وتوجهنا إلى أسفل فى اتجاه المحل قالت لى سارة : ما رأيك يا زهرة بارفاق رسالة مكتوبة مع الهدية .أجبتها فكرة رائعة فعلا الرسائل المكتوبة أحيانا تعبر عما بداخلنا أكثر من الرسائل الصوتية . أجابتنى سارة قائلة : اذا ماذا تقترحى لنص الرسالة . صمت قليلا ثم أعلنت عن مضمون الرسالة ، الرسالة نصها لن يزيد عن عدة كلمات سيكون مضمونها كالتالى " اننى اكتشف نفسى بداخلك يا أمى فابقى معى " ابتسمت سارة قائلة دائما بكلماتك حزن ممتع يا رفيقتى .

ما ان قالت تلك الكلمات حتى وجدنا أنفسنا أمام المحل وقد ازداد الجو سوءا ، يا لسوء الحظ بدأ قلبى يمل لا شىء يكتمل بالطريقة التى أريدها .

سارة / مساء الخير

صاحبة المحل / مساء الخير مقترنة بابتسامة رقيقة .

ابتسمت أنا الأخرى قائلة كنا نريد تلك السلسلة التى فى الزجاج .
صاحبة المحل متجهة نحو السلسة أتت بها وأعطتها لى .

سارة / جيدة نريد أن نغلفها من فضلك بطريقة جديدة وتكون بها لمسة جمالية لانها لاعز انسانة الى قلب صديقتى .

تذكرت الرسالة فنوهت عنها برغبتى فى كتابة رسالة مع الهدية

كتبنا الرسالة وغلفت صاحبة المحل الهدية وخرجنا قالت سارة يجب أن أذهب الان إلى المنزل وحمد لله على سلامة والدتك يا زهرة .
ذهبت سارة وقررت العودة إلى البيت ، وجاء صوتها لى من بعيد منادية زهرة لا تقلقى سأفكر فى ذلك المجهول وسنكتشفه الى اللقاء .
تذكرت جدتى التى تنتظرنى كى تتحدث معى عن الذكريات التى دوما تكون مقترنه بحكمتها .

اختطلت أصوات كلكسات السيارات بالجو العاصف وهناك من بعيد أصوات لفرح نهارى ، العريس بجوار العروسة العريس هو من يقود السيارة . كل ذلك المنظر كان فى الجانب الأخر منى . منظر ينقصه بهجة السماء ، ليت الجو يبعث حنانه كى تكون ذكرى جيدة للعروسين ، لو يبعث الجو هدوءه لظل العروسان مدينان له طوال العمر بالذكرى الجميلة .

بدأت أعبر الطريق حسنا جانبى لا يوجد به أى سيارات لاعبر الان ، قلبى يرتعش جسدى مثلج سيارة العرسان تجرى أمامى لا أعرف كيف جاءت امامى رغم انى منذ لحظات كنت قد رايتها فى البر الاخر ، رعب يقتحم قلبى ، لا مفر من الموت . ضجيج من حولى بعد التفات الجميع حولى ، تلطخ فستانى الأبيض الذى يشبه زهرة الياسمين بسائل أحمر مثل عصير الرمان. دماء كثيرة أصبحت غارقة فيها ، أزعجتنى الدماء من أين تلك الدماء الكثيرة ؟ لا أشعر بجسدى ، أين هدية أمى لا أجدها ربما ضاعت تحت أقدام السيارة ، لا أشعر بأى جزء فى جسدى من شدة الاصطدام ، العروسان يحملانى فى سيارتهم ، لم أشعر بشىء بعدها سكرت وغفوت ولم أشعر أين أنا ؟

رجل غريب

ذابت الأفراح فى عمق الصرخات واختلط سيل الدم بفستانى الأبيض واندمجت أحلامى بالأوجاع . أعترف الان أننى على منصة الأوجاع الحتمية ، أعترف أن جميع أحلامى دفنت فى لمح البصر ،أعلن أن طريقنا أحيانا جبرى لا يمكننا الفرار منه ، حتمى درجة أن كل شىء فينا يسير فى اتجاهات محددة ، مقيد درجة الموت وانت على قيد الحياة .

صدقتى يا جدتى عندما قلتى لى ذات مرة " مجبر الانسان فى بداياته الأولى على أن يختار ما يقرره الأخرون ". فهمت الان ما ترمى اليه فهمت حكمتك ، فاحيانا نحن لا نستطيع أن نملك أنفسنا رغم كل شىء .
فتحت عينى وجدت نفسى داخل غرفة ، بجوارى شنطة مليئة بالعلب ، الحقن ، الحبوب ، محلول مزروع فى يدى اليسرى بابرة رفيعة داخلة فى عروقى رائحة البنج تخنقنى رائحة المرض ، ينبعث من أجزائى رائحة المرض .

ستائر بيضاء ، منضدة فى منتصف الغرفة ، جدتى بجوارى تمسك يدى اليسرى والدموع تسيل منها كمطر غزيرفى ليلة شتاء باردة ، العريس والعروسة يجلسان فى ركن من الغرفة ، العروسة مازالت بفستانها الأبيض لم يعد أبيضا كما شاهدته أول مره ، أشعر وكأنه أصابه المرض هو أيضا ،
امرأة تمسك بيد العروسة ورجل يجلس بجوار العريس يبدو أنهم أهل العروسان . صديقتى سارة بجوار والدتها تدعو لى بكلمات هادئة .

فى الطرف الاخر لمحت أمى ، أمى قد أتت فى موعدها وفيت بوعدها لى ، شممت رائحتها قبل أن تراها عينى .
وفيت أنتى معى بوعدك لى يا أمى وأخلفت أنا وعدى مع نفسى فلم أستطيع تقديم هديتى لك ، اعذرينى هديتك قد أضاعها حظى السىء.

من هذا الرجل ؟ رجل لا أعرفه يجلس على يمين أمى هيئته مختلفة عنا يبدو وكأنه من بلد اخر ، ربما كان من معارفنا ولا أستطيع تذكره .
كنت أتمنى وجودك يا فؤاد بجوارى الان ما أجمل أن تكون بجوارى وقت وجعى قبل أوقات فرحى . وعدتنى أن تتقدم لخطبتى عند قدوم أمى وها هى أمى قد قدمت ، وها هى فرصة مرضى تسنح بأن تأتى لتقدم وفائك لى ، ربما أنت لا تعلم وربما لا تريد رؤيتى بحالتى تلك وربما أتيت وكنت غارقة أنا فى نومى . سأختلق لك الأعذار من كل صوب وجهة يا عزيزى .

شعرت جدتى بانتباهى زهرة زهرة أأنت بخير يا ابنتى ؟ حمدا لله حمدا لله انتبه الجميع ، العروسان فى حالة تأهب أمل موجوع مما حدث أعينهم تتحدث الحمد لله لقد فاقت . هرولت أمى نحوى زهرة أنتى بخير ؟ أجيبنى أرجوكى ؟ حاولت أن أحرك يدى فى اتجاه أمى التى أشتهى عناقها .

ما الأمر لا أشعر سوى بيدى اليسرى المزروع بها المحلول يدى اليمنى كأنها أصبحت عدما ؟ أيدى أصبحت ذكرى !! يدى اليمنى لا أشعر بها .

راح صوتى يعلو فى المكان " يدى يدى أين يدى " أخذ الجميع يهدأ من ورعى وأنا مثل طائر مذبوح يخبط فى الأرض انتظارا لانعدام روحه .

وكان أخر ما نطقت به قبل دخول الطبيب واعطائى مهدأ " لماذا هجرتينى يا شمس " رسائل الألم أصبحت شديدة اللهجة هل كان حلمى كبير فى أن أعانقك ؟ بترت يدى قبل أن تشبع منك وضاعت هديتك وأصبحت اليد التى كنت سأقدمها لك بها مجرد ذكرى علي أن أتذكرها ولا أحاول استرجاها فهى ذكرى محرمة . فقدت جزئى يا أمى ، انعدم أملى فى معانقتى لك بيدين متشابكتين .

غفوت ودخلت فى موت قصير ، دخلت فى حلم حلمت بفؤاد بماذا حلمت وماذا كان الحلم ، لا أتذكر شىء . ربما حلمى بفؤاد من شدة قلقى عليه ، ربما كان حلم شيطانى ، ربما كان ضرب من ضروب التفكير العبثى جاءت على هيئة حلم .
ليتنى أستطيع أن أرسل لك يا فؤاد الان رغم اننى لا اعلم ان كنت سألت على فتاتك أم لا ؟ كنت تعشق بمنادتى بفتاتك أتمنى أن أسمعها منك الان لتريحنى . وعزائى فى ذلك أن المتحابين دوما على مقربة رغم المسافات كنت تقول لى انى أعشق روحك ها أنا تخلى عنى بعضى فهل سيصيبك هجوم البعد عنى .

استيقظت من النوم أبكى بصوت عال التفت سارة جدتى أمى وقالت سارة " كونى قوية " أى قوة هذه بعد ضياع أحلامى ؟ أحلامى المهددة بالانقراض كطائر لم نره من قبل ، تلك هى أحلامى اليوم كطائر نسمع عنه فقط فى الكتب وعلى شاشات التليفزيون ولكن لم نقابله قبل ذلك .

ضمتنى أمى وهى تبكى وصوتى يندمج ببكائها مرددة قد حضرنى الحزن مبكرا سيول الامى تدق أبوابى لا ترحم فرحتى بعودتك ، اندمجت بأوجاعى يا أمى ويبدو أن الأوجاع ستقيم على سواحلى طويلا .
علا بكائى وبكاء أمى ، جدتى ، صديقتى ، ولا أعلم هل زاد بكائك على أم لا يا فؤاد ؟ هل سألت عنى أم هجرتنى ؟ ظننا منك أننى لا أسال عنك برغبتى .

فتحت عينى الدامعتين ناظرة حولى نفس الأشخاص ، مازالت رائحة المرض بداخلى ، أنا لا أحلم ، أنا فى واقع بتر يدى ، وجود أمي واقع ، نعم أصبحت فى واقع ينتمى إلى كوكب يشتهى الدموع والاهات . اقتربت أمى منادية " زهرة " أجبتها " نعم " وما ان نطقت بكلمة نعم حتى طرق الباب اثنين أحدهما على هيئة ضابط . ماذا سأفعل الان ، ربما يسألونى عن الحادثة حتما سيسألونى عن حادثة اعاقتى .

قبل دخول الضابط كنت أريد أن أسال أمى عن هذا الرجل الذى لا أعرفه ، لماذا لم يذهب حتى الأن ؟ ومن هو ذاك الرجل الذى لا تشبه هيئته هيئتنا ؟ ولكن تشتت وتبعثر تفكيرى عند دخول هؤلاء . فكرت بماذا سأجيب على أسئلة التحقيق التى حتما ستوجه لى . فى عمقى تفكير مستمر بكلام غير منطوق ، ما ذنب هذان العروسان أشعر وكأنهما يشتكيان الألام فى كل مواطن جسدهما مثلى تماما ، بل وأكثر ، ملابسهم بعدهما كانت تعزف الذكرى الجميلة ، أصبحت تنطق باسم كل الذكريات المؤلمة . لسان حالهم ينطق " نحن العروسان الذى لم يعرف الحظ دارنا فتاه يوم زفافنا وتعثر فى العثور علينا فأقام عند غيرنا ".

المحزن أننى أصبحت جزءا من تلك الذكرى المؤلمة لجسدين وروحين ، يكفى أننى طبعت على قلبيهما الذكرى السيئة البارزة فى اليوم المنتظر ربما منذ شهور أو حتى سنوات ، يكفى تذكرهما لى كل عام مرة بأنى ذكرى الفتاة التى بسببها لم تبدأ حياتهما الزوجية فى الوعد الذى أعلنموه
. ولكن ما ذنبى وقد كانت سيارتكم تسير بسرعة جنونية ربما ذلك الجنون الذى ينتج دوما عن شدة الأفراح . تذكرتك يا جدتى حينما كنتى تقولى لى "قد يكون جنوننا ممتع حد الأفراح فمن أسباب جنوننا تلك الأفراح الصادمة ".

ولكن هل صدمتم بفرحكم أم أنكم كنتم على شك من وجود تلك اللحظة ، جنونكم تحول إلى يد مبتورة لفتاة لم تبدأ حياتها بعد . ربما هى الأقدار .
لو يصبح ذلك اليوم عدما ، ذلك اليوم الذى بعثر كل كيانى خارجا عنى . ذلك اليوم الذى هدد حياتى بالانقراض .

هم المحقق قائلا أريد أن أخذ منك بعض الاجابات على أسئلتى التى سأطرحها عليك ، أومأت رأسى بالموافقة وبعد ذكر الاسم والسن جاء السؤال الأصعب ، ماذا حدث ؟ تذكرت ماذا حدث الذى حدث أن الوجع أصبح قابع فى جوفى ، ألم لن يتخلى عنى لأن الجو هنا ساحر بالنسبة له ، هنا داخل يدى المبتورة .
أعاد المحقق السؤال مرة أخرى : ماذا حدث تحدثى من فضلك ؟ بماذا أجيب عليك أأجيب عليك بقولى " فقط كان يومى حزين واغتربت الشمس عنى وتملكنى احساس باليأس والضياع ."
أعلن صوته مرة أخرى ماذا حدث أجيبينى ؟ أجبته قائلة مررت أمام سيارة العروسان بسرعة وحاولا قدر امكانهما مفاداتى ولكن القدر كان أقوى ، هنا صاحت أمى بماذا تنطقى ؟ قد أخبرانى هؤلاء أنهم كانوا يسيروا بسرعة جنونية . نظرت لأمى قائلة لها ما ذكرته هو ما حدث .

ثم دخلت فى دوامة بكاء اخر وكل ما فى ذهنى " يكفيهم ما حل بهم يوم زفافهم فلن أستطيع تغير القدر حتى بعد ايذاء الأخرين " .
صمت الجميع فى حضرة بكائى وصراخى وأوقف التحقيق بناءا على أمر من الطبيب وغرقت فى النوم بفضل المهدئات والمنومات التى جعلنى الطبيب اتناولها .
جاء المساء فى حضرة الجميع ، جاء المساء فى ذكرى أشجان الحادث ، جاء ليلى وبجوارى سارة مستفسرة منها إن كانت تعلم أى شىء عن فؤاد أى تفصيلة صغيرة عنه قد تحينى لهذا المساء ؟ هل تعلمى عنه شىء يا سارة ؟ وعندما أجابتنى بأن أستريح ولا داعى لأن أفكر فى شىء قلت لها راحتى معه ورجوتها أن تذهب إلى المنزل لتحضر هاتفى لعله أرسل لى برسالة أو حتى حاول الإتصال بى . وقد وافقت سارة على ضيق من تفكيرى بفؤاد حتى وأنا على سرير المرض أعانى .

انتظرت سارة وكأنى منتظرة لنتيجة إمتحان ونتيجته أما مبهجة تبعثنى من الوجع إلى الفرح المحرم وإما إزدياد لبحر أوجاعى .
رجعت سارة وأخبرتنى بأن الهاتف ليس فى المنزل ، تذكرت أنه كان معى يوم موتى الأصغر يوم شقائى المبكر يوم حرم على معانقة أمى بيدين متشابكتين ، تذكرت أنه تاه مثلما تاهت هدية أمى .

تذكرت ما فعله ذلك اليوم فى وأخذت أصرخ قائلة " كل شىء أصبح محرم حتى عناق أمى أصبح عناق محرم "

رجوع إلى المنزل

رجعت إلى المنزل بعد صراع بين المحاليل والأدوية التى مهما طال اعطائى منها لن أسترد ذراعى . لن أسترد جسدى بأكمله كما كان ، رجعت إلى المنزل ينقصنى شىء كان معى قبل خروجى ليتنى لم أخرج كما نصحتنى جدتى ، يبدو أنك تعلمتى لغة الكون يا جده ، أما أنا فمازلت تلميذة خائبة فى خبايا الكون ، رجعت إلى المنزل بأيد تشبه الايدى الموجود فى أفلام الرعب لا عروق فيها ولا دم . هل ستؤدى تلك اليد مهمتها بدلا من يدى التى اعتدت عليها التى كانت معى منذ ولادتى ، على أن اعتاد على فراقك أيتها الحبيبة .

وإن أدت وإن رضيت وقد رضيت ،هل سيرضى المجتمع بشكلى الجديد أم سيرفض تصنيفى كواحدة من البشر العادين . ربما يخرجنى المجتمع من رحمته ، فأمثالى لن ينالهم من هذا المجتمع سوى الشفقه ، لا أريد شفقه بل أريد أن يعاملنى الجميع وكأنى الزهرة السابقة الغير مشوهة .

جاء فى خلدي حديث المقربون على طفل الجيران المولود بإعاقة فى قدمه ، كم هو محبط أن يجعلك المحيطون بك محل نفور أو شفقة ، عندما كان الجيران يتحدثون عن هذا الطفل بعيونهم التى تشعرك بدنو منزلة الطفل عن الإنسانين ، لم أكن أعبأ بما يقولون ، ولم أحاول فى أى وقت أن أقيم شعوري تجاهه ، ها أنا اليوم أتمنى لو يعود الزمن بى لأصرخ فى وجه الجميع لأقول لهم بصوت قوى " هذا إنسان وهبه الله الحياة ، فليس من شأنكم سلبه حقوقه التى أعطاها الله لنا الله بالمجان من أجل إشباع ثرثرتكم الهشة تلك " .

تذكرت رحلتى مع مع الكتابة منذ الصغر ، كانت أمى لا تريدنى أن أكتب بيدى اليسرى ودوما كنت لا أستطيع الكتابة بيدى اليمنى وتحت تهديد أمى كنت أكتب كلمات مكسرة باليمنى . وعندما كنت أجلس بجوار جدتى كانت تقول لى ما دمتى ترهقى من الكتابة باليد اليمنى فاكتبى باليسرى وكانت تكمل جملتها " قدرك أن تكبتى باليسرى " يا ابنتى . فهمت المعنى الان يا جدتى فهمت قدرى من أن أكتب باليسرى كان القدر أعلم بما تخبىء لى الأيام .

أخذت وقت كى أتعود على جو حياتى الجديدة، ظلت سارة تتردد على باستمرار ، وظلت جدتى بجوارى وظلت أمى تداعبنى كل يوم ، وكان زوار من أقاربى يأتونى ولم ألتمس فى أعينهم سوى الشفقة من أجلى ، وجاءت هاجر ابنه عمى بيدها الورود التى أحبها وقد مر ثلاثون يوما إلى الان ، مروا مثل سير سلحفاة فى طريقها إلى المنزل ، مروا كليلة شتاء باردة درجة الخوف ، عاصفة درجة رعشة القلب .
بدأت أخرج من حجرتى الان وأمارس جلوسى مع جدتى كسابق عهدنا ، الأغرب أنى أشعر بغياب أمى العقلى عنا فى أحيانا كثيرة كأنها ترتب لامر ما ، وأخذت أوهم الجميع أنى بخير ، وبداخلى نار هائجة وبعثرة لكل شىء فلا شىء أصبح على ما يرام ،ولكن يكفينى قرب أمى منى الان فأستطيع رؤيتها وان كنت أشعر بافتقادها من حين إلى اخر ولا أعرف لماذا هذا الشعور .

أتمنى أن لا تسافرى يا أمى مرة أخرى برغبتك دون ضغط منى لو يمكننى لتذللت اليك بصراخ مثل طفل يتمسك بلعبة حتى تقتنيها أمه له ، أريد أن أصرخ حتى تظلى بجوارى أصرخ كطفل يريد أن لا يترك أمه حتى ولو لشخص يريد فقط تقبيله .

قررت أن أهرب من تفكيرى هذا بالعبث فى حاسبى لعلى أفيق من وحدتى تلك ، ففى مساء يوم شعرت بلمسة برد تمر بين ذرات جسدى، التقت معطفى وارتديته لازيل ذلك البرد من جسدى وأمسكت بكوب من السحلب لأدفء به معدتى المثلجة تلك ، فتحت حاسبى بعبثية تامة وبدأت أفتح موقع الفيس بوك ووجدت بعض طلبات الصداقة والاشعارات وما لفت نظرى كثرة الرسائل قررت أن افتحها وبدأت أرشف من كوب السحلب رشفه وراء الأخرى وأجيب على الرسائل واحدة تلو الأخرى وكان مضمون اغلبها الاطمئنان على صحتى ومواساتى ، الا ان وصلت للرسالة من حساب مجهول فتحتها مسرعة وبدأت أقرأ (عندما يفقد الانسان جزء منه ، عليه أن يتأكد أنه سيصاب بميزات أخرى مجهولة فى وقته الحالى ، عليك أن تؤمنى بقدرك ...) لم أستطع تكملة قراءة الرسالة وهرولت لأفتش بداخل صفحة هذا الحساب الشخصية ، يا للذكاء الصفحة مغلقة وغير متاحة ولا أستطيع الوصول الى أية معلومة عن صاحبها . ذهبت الى صندوق الرسائل لاكمل رسالة ذلك المجهول (اذا اردتى أن تحدثينى عليك أن تحدثينى بالطريقة نفسها ، يمكننك وضع خطاب مكتوب على ورق مقوى فى الصندوق الذى أمام منزلك ، مع مودتى ، التوقيع / أريد أن أعرف هل قبلتى تلقيبى بالفت ام لا) . جعلت اردد هذا نفس الشخص الذى وجدت له خطابا فى شرفتى من قبل من هو ؟ سأجن ؟ يعرف حسابى الفيسبوكى ومنزلى وما يدرينى لعله يعلم الاكثر والاكثر .
استلقيت على سريرى لاهدأ مؤقتا من ذلك الشخص الذى يؤرق تفكيرى الا أن ذبت فى حنين النوم .

وفى الصباح دخلت جدتى غرفتى وجدتنى غارقه فى التفكير سارحة فى فؤاد الذى لا أعرف عنه شىء منذ شهر ، ففى حضرتك يا فؤاد كل شىء كان يبدو لى جميلا حتى أوراق الورد الذابلة ، الورد الساقط على الأرض ، السماء صافية صوت الكروان الحزين يصبح مبهجا ، الكون كله فى حضرتك يبدو لى كأنشودة غنائية جذابة ،كل شىء فى حضورك يبدو لى رائعا حتى وان كان حضورك مجرد تفكير فيك بكل جوارحى ، أواه يا فؤاد لم تدع لى شيئا حتى جعلته لى ذكرى لوصلك .

جلست بجوارى جدتى مبتسمة قلت لها أدخليني بين ضلوعك يا جدتى أخفينى عن هذا الكون كله ، أخذتنى بين طيات قلبك وأخذت أبكى بشراهة أخذ صوتها يمتزج ببكائى " يا ابنتى الماضى قد يوجعنا أحيانا والبشر يحلون تلك المعضلة إما بالهروب منها وإما بالتعلم من ذلك الماضى "

دخلت أمى ونحن بهذه الحالة قائلة ما رأى زهرتى بأن نتناول الافطار على أشعة الشمس الدافئة الان ؟ ألم تلحظى تورم عينى من كثرة البكاء يا أمى أتمنى لو تسأليني ماذا بك يا ابنتى ؟ أجبتها بصوت هادىء يخالطة الحزن " الشمس فليكن ما تحبى يا أمى ".

وعلى طاولة الطعام تذكرت الرجل الغريب الذى كان بالمستشفى فخرج صوتى هزيلا أمى أريد أن أسالك من ذلك الرجل الذى كان بالمستشفى ذلك الرجل الذى لايشبه هيئته هيئة رجال بلادنا ، أجابتنى ما رأيك بأن تتعرفى عليه عن قرب أفضل سيأتى للغذاء معنا اليوم للتعارفا عن قرب ، لم ألح كثيرا فى معرفته الان بل أجبت فليكن . بعد الافطار جاءت سارة لزيارتى ، ليتها تكون

ذهبت إلى الجامعة وعرفت أى معلومة عن فؤاد الذى افتقده بشده بعد ضياع هاتفى وغياب اتصالى به .

أقر يا فؤاد بأن قلبى تعلق بك تعلق الغارق بأى أمل ينجيه من الموت ، تعلقت بك وأنا غارقة أشتهى الحنان ، تعلقت بك وأنا أشتاق لأى حفنة حب وأمان ، فى كل لحظة أتمنى أن أهبك عمرى وتهبنى بعض الحب و الأمان ، لا أريد طول العمر ولكن أريد أن أملأ عمرى بفتات الحب .

جاءت سارة للاطمئنان على حالتى ولكى لا تجعلنى أشعر بالاغتراب ، جلسنا فى غرفتى وجاء ثرثتنا

- أهلا سارة ، هل ذهبتى إلى الجامعة وهل رأيتى فؤاد ؟

أجابتنى ساررة والحيرة تغزو ملامحها :- دعك من فؤاد يا زهرة ، اهتمى بصحتك أرجوك .

- صحتى بصحبته والاطمئنان عليه أرجوكى أجيبينى .

نفت سارة ذهابها إلى الجامعة وأقرت أنها لم تراه وأنها قررت أن لا تذهب الى الجامعة إلا فى صحبتى كالمعتاد .

اقترحت عليها قائلة :- ما رأيك أن نذهب غدا سويا أعتقد أنى أصبحت بخير الان . وفى ذهنى بخير ولكن بيد مبتورة .
وافقت صديقتى على اقتراحى بنفس راضية .

- ما رأيك لأن نخرج الآن سويا لكى أتدرب على المشى بالشارع أشعر أننى سأكون خجوله من نزولى الشارع .

- لا تتحدثى بهذة الطريقة يا زهرة أرجوك بحديثك هذا يتألم قلبى . ولكنى موافقة على الخروج ولكن الى أين قبلتنا يا رفيقة .

- لنذهب إلى شركة الاتصالات كى أسترجع شريحة هاتفى وأضعها فى الهاتف الذى أهدته لى أمى ليلة أمس .

- أجابت سارةفى ابتسامة :- لذهب يا زهرة ليس هناك مشكلة .

اخترت الخروج الذى لا أفضله كى أجلب شريحة الهاتف لعلك تتصل أو ترسل لى رسالة يا فؤاد . اخترت الذهاب للجامعة غدا رغما عنى لعل نظرتك لى تملأنى بروح الأمل من جديد تملأ قلبى بقسط من النشوة التى لا أعرف إن كانت ستزورنى فى أيامى القادمة أم لا . إنى أعيش من أنفساك ،منذ ذلك اليوم الذى مسنى حبك فيه ، منذ ذلك اليوم الذى أعطيتك مفاتيح الأمل لان تتصل بى ، من يوم دعوتك لى على مائدة الحب وقبلت الدعوة ، منذ ذلك اليوم الذى وقعت فيه بقبول حبك يا فؤاد ، منذ ذلك اليوم الذى أسرتنى فيه منذ أن أصبح الوصل بيننا بالعين ، كيف

تعلمت كلام الأعين يا نفسى ، كانت نظرته لى كأنها رسول يشرح لى بالتفصيل ما تريد الإعلان عنه لى ، كنت أستوعب ما يريد اذعانه لى وكأنه أذعاه على بحواسه أجمع ، ولكن برغم كل ذلك أشعر بقلق أشعر بانذار حريق سيعلن عنه قريبا .

تسللت نحو أمى لكى أبوح لها عن رغبتى فى الخروج وسأصطحب سارة معى ؟ بقلق زائد جاء رد أمى " لالالا " لماذا يا أمى هل على أن أتقلم على الاقامة بداخل سجن بجوار تأقلمى على العيش بيد واحدة .
أجيبينى أرجوك ؟ أريد أن أمارس حياتى كسابق عهدى ، لو كنت فقدت يد فلم أفقد انسانيتى مازلت أندرج تحت النوع الانسانى على الرغم من كل شىء ارجوك دعينى أخرج ، دعينى اكتسب روحى بدلا من أن أفقد كل شىء . أرجوك لا أريد أن " أخسر روحى كما خسرت بعض جسدى " .
لا أستطيع أن أعبر لكى يا أمى بكلمات مترجمة ما يدور بخلدى وبقلبى .

أخيرا وافقت أمى بعد الاستفسار الكامل (من ، أين ، متى) عن من سيخرج معى ؟ ، عن أين سنذهب ؟ ، عن متى سنعود ؟ ، وبعد كل هذا شرط الخروج أن لا أتأخر على موعد الغداء كى أتعرف على الضيف الغريب الذى أجهله .
توجهت إلى غرفتى مرتدية زى يشبه لونه طائر الشحرور ، خرجت مع صديقتى وكان قلبى يرتعش خوفا من مقابلة البشر . أتوق لشم رائحة الكون وأخشى عيون البشر .

بالفعل نزلنا إلى الشارع وأثناء سيرنا شعرت بالشفقة المنبثقة من عيون كل من يقابلنى اه يا قلبى هذا ما أخشاه . أريد أن أصرخ " لا أريد شفقة منكم ، ولكن أريد أن تنظروا لى كانسانة طبيعية مازلت انسانة ايها البشر . ولكن أعلم أن الصراخ لن يرحمنى من نظرات الشفقة بل ستزداد تلك النظرات بازدياد صرخاتى . لأصرخ بصمت ، لأتوجع بين طيات قلبى ولاصنع لقلبى جدران حتى لا يخرج صوتى من بين أوردة فؤادى ، كل ذلك لمنع زيادة الأعين الشافقة على .بالفعل وصلنا إلى شركة الهاتف وقمنا باسترداد الشريحة .

اقترحت على سارة لأن نجلس فى كافتيريا ،لاحتياجى فى أن أحدثها عن صاحب الخطابات المجهولة ، قامت سارة باختيار منضدة فى ركن هادىء من الكافتيريا ، واعتدلنا فى جلستنا وبدأت سارة الحديث (هل من جديد يا زهرة ؟ ، من ذكرك بصاحب الخطابات ؟هل أرسل لك خطابا اخر ؟) فى أثناء حديث سارة حضر النادل يسألنا (عن ما نحب أن نتناول ؟) طلبت سارة عصير المانجة بينما طلبت أنا فجانا من القهوة ، لشعورى بألم شديد فى الرأس .

انطلق النادل ليجلب لنا المشروبات حينئذ ، حدثت سارة عن الرسالة الفيسبوكية وعن مضمونها ، تنهدت سارة تنهيدة حيرة وقامت بفتح حاسبها الشخصى وقالت لى (افتحى حسابك الفيسبوكى يا زهرة ، أريد أن أتفحص الرسالة على طبيعتها) فتحت حسابى وقمت بفتح صندوق الرسائل وفتحت رسالته وناولت الحاسب لسارة كى تراها وأبدت سارة ملاحظتها

- ياله من ذكى لقد أغلق الحساب الذى أرسل منه الرسالة انه يغامرنا يا زهرة .

- أجل ، ولا يوجد أى دليل على صاحب الرسالة ، سأجن يا سارة لابد

أن أعرف من ذلك الشخص ، بحياتى الان اثنين مجهولين ، الرجل الذى كان فى المستشفى ، وصاحب الروايات المجهول إلفت كما يريد أن ألقبه

هنا انطلقت من سارة ضحكة عبثية ، وانطلقت منى ضحكة سخرية ، على متاهتى فى البحث عن اشخاص مجهولين .

وجاء استفسار سارة :- زهرة ايمكن ان يكون رجل المستشفى هو نفسه رجل الخطابات .
اجبتها بحيرة :-لا أدرى ربما يا سارة لقد توقف فكرى .

- حسنا سيظهر كل شىء بعد قليل ان كان هو سيبوح بذلك على الغذاء اليوم ، حسنا لا تتوترى يا رفيقة . سنحضر تعارف اليوم ولنحاول فك طلاسم إلفت هذا .

عودت إلى المنزل بصحبة رفيقتى سارة . ما ان وصلنا حتى ألقت أمى على نصائح فى أن أجهز لمقابلة الضيف المجهول . دخلت غرفتى مصطحبة سارة والتى ساعدتنى بوضع الشريحة الجديدة بالهاتف ، دخل الأمل إلى الهاتف ، دخل النفس اليه بدأت الحياة تدب بداخله ، ليتك ترسل لى يا فؤاد لتدب الحياة بداخل قلبى كما دقت الحياة بالهاتف .

لن أبرح الهاتف من يدى لعلك ترسل لى بكلمة واحدة اتنفس بها طوال اليوم يا أملى ، حاولت الاتصال بك يا فؤاد ولكن دون جدوى هاتفك مغلق وغير متاح دوما ، لماذا أصبحت غير متاح يا فؤاد هل أصابك مكروه .
سأحتضن الهاتف يا فؤاد وسأنتظر منك أى وصل أى حفنة أمل . لو تعلم يا فؤاد كم أنا متلهفة عليك لأصابتك الدهشة مما أنا عليه . لو كل الأمانى تتحقق فى حينها ، لتمنيت أن يكون غدا اليوم كى أذهب إلى الجامعة واطمئن عليك .

راح صوت سارة يقطع تفكيرى ، زهرة هيا والدتك أرسلتنى لاجعلك تسرعى ، أجبتها وانا اخفى وجهى عنها وبصوت مدمع ساسرع يا سارة حالا سأخرج . سارعت سارة نحو لتمسك بذراعى زهرة ماذا بك يا صديقتى هل تبكى ، أجبتها لا شىء صدقينى أنا بخير ، الحت فى السؤال فاجبتها فؤاد هاتفه مغلق حاولت الاتصال به اكثر من مرة ووجدته مغلق ، هدأت سارة من روعى وقالت لى نصف ساعه فقط هى الوقت الذى مر على ادخال الشريحة الجديدة لهاتفك ، لماذا لم تنظرى حتى يتصل هو ، غير هذا يمكن ان يكون هاتفه خارج نطاق الخدمة ، أو أنه أغلقه لاجتماع طارىء أو أى شىء من هذا القبيل ، أرجوك اطمئنى وانعشى وجهك الذى ذبل هذا ببعض الماء وهيا لنخرج .

من تعتقدى هذا الرجل يا سارة ذلك الرجل الذى لم يفارقنا فى المستشفى كانه يعرفنا منذ سنين ؟ والأغرب أمى تريدنى أن أتعرف عليه بنفسى عن قرب !! لم أعد أفهم شىء فى حياتى تلك .
اجابتنى سارة لا تنزعجى يا زهرة ربما يكون قريب أو صديق لكم من أى جهة . أرجوكى يا زهرة أسرعى واوقفى تفكيرك ، كل شىء سيعلن بعد قليل . أجبتها أنا جاهزة الان هيا لنخرج .

أشعة الشمس منبثقة من النافذة التى بجوار مائدة الطعام ، أمى تستقبل ضيفها المجهول استقبال حافل ، جدتى يبدو عليها الوجع ، ربما مازالت تتوجع من أجل اصابتى التى سترافقنى بقية عمرى .

دخل الرجل سلم على جدتى وسلم على سارة وجاء دورى ، الرجل يعرفنى أخذ يسلم على بشدة قائلا " حمدا لله على سلامتك يا زهرة " .
أجبته فى حماسة أقل (الله يسلم حضرتك .) واكتفيت بابتسامة خافته اليه .
صار صوت أمى يقطع الصمت هيا بنا الغذاء جاهز الان . أومأ الرجل بالموافقة وذهبنا ناحية مائدة الطعام ، جلس الرجل وجلست أمى بجواره ، وجلست أنا فى منتصف سارة وجدتى .تجاذبنا أطراف الحديث ونحن نتناول الطعام ، ركز الرجل فى حديثه على اننى فتاة يتمناها كثير من الناس .

راح صوتى يختلط بصوت الرجل حينما بدأت الشمس تغيب " يسعدنى أن أتعرف الان على حضرتك ؟) .
أعلم أنه بغياب الشمس سيحدث شىء لا يروق لى ، يبدو أن عقلى برمج على هذه العلاقة بين غياب الشمس واحداثى الموجعة .

أجابتنى أمى وأنا أحتسى بعض الشربة الموضوعة أمامى " هذا فى منزلة والدك يا زهرة "
أجبتها : " نعم نعم تقصدى أنه كان صديق والدى رحمه الله " اجابتنى نافية قلت اذا ماذا؟ .
صار الصمت يجول بيننا لفترة من الزمن قطعت جدتى الصمت وأشارت للرجل قائلة " تفضل بالحديث ، الان ستعرف وغدا سعترف تفضل " .
بدأت أنفاسى تضيق وبدأت سارة تمسك يدى المثلجة ، وجاء صوت الرجل يقول " اسمى وسيم وأنا سعودى الجنسية ، "وصمت قليلا ثم كسر الصمت ثانية قائلا وأنا أنظر اليه فى تلهف " وزوج لوالدتك يا زهرة " .

تركت حسائى ولم أجب غير بكلمتين " زوج أمى " . قال " نعم " غرغرت عينى بالدموع أجبته قائلة " هنيأ لكما " . نظرت إلى جدتى قائلة " هل سيستقرا فى مصر أم فى السعودية " .
لاحقتنى أمى بالحديث " لا مجال للحديث فى هذا الان يا زهرة " هذا يوم تعارفك على عمك وسيم " .

أه يا امى تعلمى جيدا اننى لن أقبل لقب أبى لرجل غريب ، وناهضينى قائلة عمك ، فلماذا حدثتينى بأنه فى منزلة والدى .

لم أكمل طعامى وهرولت الى غرفتى وجاءت من خلفى سارة تمازحنى قائلة (اذا ليس عمك وسيم هو صاحب الخطابات المجهولة يا زهرة يبدو أنه مغامر فعلا) وضحكت ضحكة يبدو عليها الألم لأجلى رغم انا ظاهرها يقول لا تكترى للامر الأمر بسيط ، تنفست بقوة قائلة (نعم يبدو أن العم وسيم هذا لا ينتمى للخطاب المجهولة بأى شكل من الأشكال ، اذا كان يعرف شىء عنها لحدثنا عنها لتخفيف حدة الموقف ، ثم انه من أين يعرف حبى للشمس ومن أين يستطيع الوصول الى شرفتى قبل وصوله من السعودية) .
أجابتنى سارة قائلة (حقا يا زهرة فأول خطاب أرسل لك كان ورقى وكان قبل وصول والدتك مع العم وسيم) . اجبتها (انه لامر محير فعلا)

أغمضت سارة عينها وبدأت تتحدث فجأة (زهرة ما رأيك فى أن ترسلى له خطابا ورقيا كما قال لنراقبه ربما يأتى ليأخذه ونراه ونعرفه فى ذلك الوقت) . لمعت الفكرة فى رأسى وقلت لها لكى أطمئن منها (لكن الأمر يبدو مخيف يا سارة) أجابتنى مطمئنة لى (ليس كذلك فالأمر بسيط ، ولن نخسر شىء عندما نغامر مرة واحدة فى حياتنا) . اجبتها لنرسل له وليكن ما يكون .

قامت سارة لتأخذ شربة ماء واضعة الكوب مكانه ثم أقبلت على مقبله لى متحدثة (سأكون عندك فى الصباح لنحدد ماذا سنكتب فى الخطاب بالتفصيل ؟ ولنذهب للجامعة معا) يبدو أن سارة قرأت بداخلى حاجتى للجلوس بمفردى ، يبدو أنه كان يبدو على الشرود بالرغم من كل شىء . انطلقت سارة نحو الباب مبتسمة مرددة (صدقينى كل شىء سيكون على ما يرام) .

خطوبة سارة

أين أنت يا فؤاد لأبث لك همى لأكمل حياتى معك ، كما أكملتها أمى مع غيرى . كنت تقول لى (لن أبرحك فى آلامك قبل أفراحك) ها هى كبواتى يا فؤاد قد بدأت ولا أستطيع وصلك .

ما الذى جعل أمى تعود ؟ هل لاشتياقها المفرط لى ؟ هل لاحساسها برسائلى التى كنت أرسلها لها دوما مع الطبيعة ، هل لقلقها على ابنتها الوحيده ؟ هل لاشتياقها لوالدتها المسنة ؟ ، أم رجعت مصطحبة زوج تريدنى أن أتعرف عليه من باب العلم بالشىء .

كنت أتمنى أن ترجعى لاعانقك يا أمى لأتنفس من أنفاسك ، لا لأمارس دور ابنة الزوجة ، ليتك تزوجتى من بلادنا كان الأمر سيكون أهون من أن أكون مهددة بهجرانك لى وسفرك طوال العمر لبلد أخر، ليس من أجل العمل تلك المرة ولكن من أجل الاستقرار هناك .

فى مرات سفرك الأولى كنت أعيش على أمل رجوعك وانهاء عملك والاقامة بيننا كاسرة طوال العمر . الأن حلمى أصبح كسراب فلا أعرف هل ستسافرى إلى السعودية أم ستظلى معى هنا . لقد كسرت جدران قلبى من كثرة سيول الألم عليه . دخلت جدتى وأنا فى تلك الحالة من البعثرة الذهنية قائلة لى " زهرة ، لن أطيل عليك يا ابنتى ولكن كما قلت لك من قبل ، اختيارات الأخرين أقدارنا ولا مفر من أن يعش كل انسان بداخل قدره ، حتى لو لم يكن راغب فى ممارسة هذا القدر ."

أجبتها بصوت مبحوح (لم يجرحنى زواج أمى بقدر ما جرحنى احتمال هجرها لى مرة أخرى ، انى بحاجه اليها اليوم أكثر من الماضى ،ويزداد احتياجى اليها يوما بعد يوم) قاطعتنى جدتى قائلة (نحن لا نعلم ما تخبئه لنا الأقدار فلا تتعجلى الأحكام) .
بدأت أضع رأسى على صدر جدتى وهى تتحدث قائلة (سمعت قصة فى التلفزيون منذ زمن ، وجاء دورها كى أقصها عليك (كان هناك عالم مشهور يدعى اينشتاين في كان يستقل القطار من جامعة برنستون، صعد المفتش لفحص تذاكرالركاب ، و عندما وصل الى آينشتاين، بدأ يبحث في جيوب السترة و لكنه لم يجد التذكرة ، ثم انتقل الى جيوب البنطلون و بعدها الى حقيبته اليدوية الصغيرة و لكنه ايضا" لم يجدها، فبدأ يبحث على الكرسي المجاور له..و هنا قال له المفتش : دكتور آينشتاين، انا اعرفك من تكون وكذلك الجميع هنا يعرفوك، و انا متأكد بانك اشتريت تذكرة، فلا تهتم للموضوع فهز آينشتاين رأسه امتنانا" له ... و استمر المفتش بتثقيب تذاكر الركاب ، و عندما كان يهم بالانتقال الى العربة الثانية شاهد آينشتاين جاثيا" على ركبتيه و يده تحت المقعد و هو يبحث عن التذكرة!..
و هنا عاد المفتش الى العالم الفيزياوي الكبير و قال له: كما قلت لك فانا و الجميع هنا نعرفك و ليس هناك مشكلة فاترك التذكرة رجاء" ..فنظر آينشتاين اليه و قال :اشكرك ايها الشاب و انا ايضا" اعرف من اكون، ولكن الذي لا اعرفه هو الى اين انا ذاهب و لذلك انا مستمر بالبحث عن التذكرة..!؟

ثم أخذت جدتى تشرح الحكمة من وراء تلك القصة قائلة لى (الانسان يجب أن يعرف دواخله جيدا قبل أن يعرفها البشر ، أما عن ما سنذهب اليه فى المستقبل فهذا ما سوف تقرره عوامل كثيرة وتلك العوامل منها ما نكون على دراية به ومنها ما هو مجهول لنا .)
ابتسمت لجدتى وقد شعرت براحة نفسية نسبيا عن السابق وذلك من حديثها الذى يطوقه حنانها .

قبلت أيدى جدتى متحدثة (ليت الحزن يبغض طريقى) . لو تعلمى يا أمى كم أشتاق إلى أن تمشطى لى شعرى كطفلة صغيرة ، لو يكن لديك فكرة عن كم أحن إلى محاكاتك عن كل تفاصيل حياتى ، لو تعلمى كم طالت امنيتى لأن تصوبينى كلما أخطأت، تذكرت يوما عندما خرجت مع مجموعه من الزملاء المستهترين ، حينها جلسوا يتمازحون كثيرا ، وكانت المفاجأه عندما أخرجوا من حقائبهم علب السجائر وقدموها لى ، ولمع فى رأسى التجربة ، تجربة لعينة دخان مسموم ، دخان محرم تنفسته لكسر ملل حياتى ، تمنيت لو رجعت المنزل واكتشفتى خطيئتى مبكرا ، وعاقبتينى كما تعاقب الام ابنتها خوفا وقلقا وحبا لها . كلما أخرج من المنزل متجهة إلى الجامعة أتمنى لو تدعى لى دعوة ،دعوه تجعلنى أشعر بالأمان بقية يومى .

تذكرت يوم نتيجتى فى العام الأول فى الجامعة عندما علمت أن ترتيبى الأول على قسمى وشعورى حينها بعجزى عن ممارستى الفرحة فى صحبتك يا أمى ، ذهبنا يومها إلى منزل سارة ، ووالدتها كانت جالسة على أحر من الجمر تنظر ابنتها لتعلن لها نجاحها ، دخلت سارة وعانقت والدتها فى بهجة وهى تقول (لقد نجحت يا أمى لقد نجحت) . رجعت يومها إلى جدتى وحدثتها عن تقديرى وعن ترتيبى ، واكتفيت ببهجتى معكى يا أمى بمحادثتك واخبارك عن نجاحى فقط ولم أحدثك عن طموحى ، حدثتك عبر أسلاك لا دم فيها ولا روح .
لا أستطيع أن أعبر لكِ عما بداخلى ولكن إن توجهتى لعمقى ستعلمى كم أحتاجك كأم .
جلست أمام شاشة الكمبيوتر أقلب بداخل صفحات الانترنت ، أتصفح بعبثية شديدة بعدما دخلت على الصفحة الخاصة بفؤاد على الفيس بوك ووجدتها مغلقة أيضا ، ماذا حدث ؟ لعل لديه الكثير من العمل فهذه عادته عندما يصيبه العمل الكثير يغلق جميع الالات الالكترونية .
الا تعلم يا فؤاد أن انتظار وصل الحبيب يوقف الزمن ولا يحركه ، ليت الصباح يأتى الان .
غفوت وأنا أقلب فى الصفحات الالكترونية ونمت وأنا أحتضن هاتفى لعلى أجد الوصل من فؤاد فى أى لحظة .

فى الصباح جاءت سارة فى موعدها بدأ قلبى يتأهب للقاء فؤاد ، ارتديت زى ضيق وفوقه زى واسع جدا كى أخفى عورة يدى اليمنى وكى لا أشعر بالشفقة فى عيون أحد ، لم أرتب ماذا سأقول لفؤاد عند لقائى به ؟ لم أفكر فى رد فعله عند رؤيته لى ومعرفته بحاثة وجعى .
لا خطط ولا نماذج للاجابة ، تركت عقلى يسير بعشوائية وتركت كل شىء لحينه ، أشغلت عقلى بالحديث مع سارة وترتيب ملابسى ، ووجدت صوت سارة يحدثنى قائلا (ما رأيك أن نكتب رسالة للمجهول الأن ونضعها فى الصندق فى طريقنا)، أجبتها (لا يوجد معنا الورق المقوى الأن لنذهب أولا إلى الجامعة وأثناء عودتنا نشترى الورق ونقوم بكتابة الخطاب ، ونضعه داخل الصندوق ، ومن المفضل أن نكون موجودين فى البيت كى نراقب من سيأخذه ونعرفه) أعلنت سارة موافقتها على حديثى فقلت :- اذا هيا بنا الأن لنذهب .

ما ان وصلنا الجامعة حتى حاصرتنى أعين الجميع ، على الأن أن أتقبل أعين الشفقة وأن أضيفها لى كتعاسات جديدة، اكتفيت بشعور الحزن والأسى الداخلى واطلاق ابتسامة لجميع الزملاء ، حينها تحدثت الى سارة (أرجوك هيا بنا نسأل عن فؤاد أريد أن نرجع إلى المنزل

سريعا ، شعرت سارة بما يدور بخلدى ، صعدنا إلى حجرة الأساتذة ودخلت سارة وسألت عن فؤاد وأنا أقف خارجا أتلهف الاجابة ، جاءت سارة مسرعة إلى قائلة (فؤاد سافر فى بعثة لمدة شهرين سافر إلى ألمانيا يا زهرة) ، حينها تنفست بقوة الحمد لله ، هناك أمل ، هيا أرجوك نرجع إلى المنزل الأن يا سارة .

رجعت المنزل وأنا أجر قدماى من ثقل أسئلة الزملاء فى الجامعة عما حدث دخلت غرفتى إلا أن جاءتنى أمى لتدعونى وصديقتى على الغذاء أجابتها سارة بالرفض وأجبتها قائلة (سأستريح مع صديقتى قليلا فيما بعد سنأتى للطعام ، ليتك سألتينى عما بى يا أمى كنت أريد أن أبكى بداخلك وأشفى ما بداخلى بقصه اليك .
ها نحن دخلنا غرفتى ، بدأت سارة تفتح الستائر ثم قامت بفتح باب الشرفه وقالت ماأجمل نور الله يا زهرة ، ثم راحت تفتح حقيبتها وتخرج منه الورق المقوى الذى قامت بشرائه أثناء عودتنا إلى المنزل وجاء صوتها قائلا (هيا بنا نكتب خطابا للمجهول الان) أجبتها وأنفاسى تشتدد ماذا تقولى هل سنرسل الأن ؟لالا يا سارة ليس الأن ، أجبتنى قائلى (لنكسر القلق الأن فالقلق يختفى غالبا عندما نواجهه) ثم أكملت قائلة لنرسل الأن كفى ارهاق ذهنى فى هذا الشأن ، ها أنا ذا قبلت رأى سارة وبدأت أفكر ماذا سنكت . بدأت أفكر بصوت عالى واقول لنكتب له كلمتان فقط وعلامة استفهامية (من أنت ؟) أجابتنى سارة وعيناها تلمع بقبول فكرتى (حسنا سأكتب الان) كتب سارة الخطاب وقامت بطيه قائلة سأنزل الأن أضعه فى الصندوق وبعدها نراقبه سويا من الشرفه .

هرولت سارة نحو الباب وذهب أنا نحو الشرفه أنتظر سارة حتى تأتى لنراقب سويا ذاك المجهول لعلنا نعرفه . ها هى سارة تضع الخطاب بداخل الصندوق وتتبسم لى من بعيد ثم تأتى الى الشرفه لتقف بجوارى قائلة (يا ترى سيأتى متى ؟) أجبتها ليته يأتى الأن فأنا متلهفة جدا لمعرفته . جاء صوت أمى باهتا الى داخل الغرفه صوتها بعيد (هيا الطعام أعتقد أن وقت الراحة قد طال) لم يعد لى أوقات راحة يأمى مثلما تعتقدى ربما تغير الأقدار مجرى حياتى فكل الاحتمالات واردة وأصبحت كل حقائقى أوهام وكل أوهامى حقائق .

أجبت على أمى (سنأتى فورا) ثم قلت (هيا يا سارة الأن) أعتقد أنه لن يأتى بمجرد أن نضعه انطلقت سارة معى قائلة هيا ولكن أخشى أن يأتى فعلا . تناولنا الطعام فى جو من التغامز بينى وبين صديقتى تغامز يدل أن بيننا ما لا نريد كشفه . بعد الغذاء قالت لى سارة أنها يجب أن تذهب . أجبتها حسنا كى لا تقلق والدتك . ذهبت لتوصيل سارة حتى بابا الشقة وجاء همس بينا فقد همست لى سارة قائلة سأتصل بك بعدما أرى الخطاب هل أخذه أم لا ، همست لها بالموافقه ، ثم تعالت أصواتنا بالسلام المؤقت . نزلت سارة ونظرت فى الشرفة امسك بهاتفى الى أن دق جرس الهاتف فأجبت سارة قائلة (خير يا سارة) قالت لى (ما زال الخطاب فى مكانه لاحظيه حتى يأتى وقومى بمهاتفتى لكى أطمئن) أجبتها بالموافقة ثم غابت هى عن نظرى .

أخذت الكرسى وجلست فى الشرفه وبدأت أختلس النظرات نحو الصندوق ، ثم فتحت كتابا لأقرأ (نحن لا نحب لنمشى بل لنطير) " القديسة تيريز الكرملية . يا لها من كلمات تمس جدران قلبى . طال انتظارى وبدأ الجو يبعث على برده وبدأت جسدى ينتابه القشعريرة ، فدخلت غرفتى وقد دخل الصداع رأسى ، ابتلعت برشامتين من المنوم وروحت فى النوم . استيقظت من نومى قبل الخامسة صباحا بخمسة عشر دقيقة ، رأسى وكأنها مهشمة حاولت أن أفتح عينى لا أرى ما فى هاتفى رأيت بصعوبة مرسل رسالة من رقم غريب طويل " رقم دولى " تذكرت فؤاد فتحت

الرسالة متلهفة ووجدت فيها " سأصل بعد ثلاثة أسابيع انتظرينى " . بهتجى لا تقدر الأن ، أرسلت لك يا فؤاد قائلة " لقد وصلت أمى من سفرها " يبدو أننى كنت أرسل لك رسالة مخفية المضمون وفهمتنى أنت وأرسلت لى قائلا " لا تتركيها تسافر ، أريد أن أستأذنها فى خطفك " . كم كانت رسالتك حانية ، كم أتمنى لو تدوم مراسلتك لى بروحانية عالية ، لم أنسى تلك المرة التى كنت تحدثنى فيها بمثالية غير عادية عن حب جبران خليل جبران ومى زيادة وجعلت تحكى لى قصتهما بحنان قائلا :- حبهما كان قويا رغم البعد ، حبها ظل قويا رغم أنها لم يلتقيا فى الواقع ولو لمرة واحدة ولكن دامت المراسلات بينهما لمدة عشرين عاما عبر الرسائل البريدية

وأنهي فؤاد حديثه معى بقوله " هل لو لم ترينى كنت أحببتينى يا زهرة ؟ . هنا ذرفت دموعى وقلت له " صدقنى نعم " .كم تمنيت لو ترجع تلك اللحظات ثانية ، ففؤاد نادرا ما يكون هادىء الطباع معى لتلك الدرجة .

نزلت من سريرى متوجهة نحو الشرفة لأفتحها لأتمتع بانبثاق الشمس ، نظرت إلى الصندوق وتذكرت الخطاب خرجت من الشرفة متوجهة إلى باب الشقه ثم نزلت فى سرعة متجهة نحو الصندوق يا للهول المجهول أخذ الخطاب ووضع لى بدلا منه خطابا آخر مكتوب عليه من الخارج إلى محدثة الكون ، أخذت الخطاب وخبأته بداخل ملابسى ودخلت الشقة مسرعة إلى غرفتى . أغلقت باب الغرفة وفتحت الخطاب وبدأت أقرأ " لا يمكن لانسان أن يحدد ماهيته وخاصة اذا كانت خبرته ومحاكاته للحياة ليست بالقدر الكاف ،وذلك ردا على سؤالك من أنت ، ولكن ان أردتى التقرب منى ومعرفتى عليك أن ترسلى لى قبولك لى وان خجلتى من هذا فلقبينى بالفت سأفهم قبولك لى كملهم أو صديق مثلا ، راسلينى بنفس الطريقة التى راسلتينى بها " . يا له من مغامر استغل ظلام الليل وغفوتى وتسلل وأخذ خطابى ، شىء مرهق للعقل فعلا .

بعد عدة ساعات هاتفتنى سارة امتزجت أصواتنا كأنها الألوان الممزوجة بعضها البعض قائلين " أريد أن أراكى الآن ، اتفقنا أن تأتى لى سارة بعد ساعة ونصف .
لاحظت جدتى بهجتى ولسعنى سؤالها القائل " يبدو أن زهرة تخفى على جدتها أمر ما " .
أجبتها والحديث يتلعسم داخل فهمى " أعدك سأحكى لك قريبا كل شىء ولكن سأتناول الطعام وأجهز نفسى للقاء صديقتى سارة ."
ابتسمت جدتى قائلة لى ما أريده منك " أن لا تندفعى فى الاختيارات " نظرت لها فى طاعة مجيبة " سأحاول ، أعدك " .
ما إن فرغت من الطعام وترتيب حالى حتى وجدت جرس المنزل يعلن عن وصول سارة ، فتحت لها بسرعة ودخلنا الغرفة بسرعة وهى تقول " ماذا حدث ؟" أعطيتها الهاتف قائلة " انظرى الى الرسائل المتبادلة بينى وبين فؤاد ، وصوتى يقول فى نشوة " انه لم ينسانى يا سارة ." وأكملت حديثى " أخبرينى ماذا حدث لديك ." أجابتنى سارة يبدو أن فرحتنا مكتملة اليوم يا زهرة أرسل لك فؤاد ومحمد سيأتى لخطبتى اليوم وأبى حدد له موعد الخميس القادم للقائى .

بدأنا نحتسى مشروب المانجة المفضل لدينا ودار بيننا حوار مفعم بالحيرة من جهتى فتوجهت لها قائلة :- لم تتحدثى لى عن علاقتك بمحمد قبل ذلك يا سارة ولم ألاحظ أى شىء عليك تجاهه وبرغم رؤيتى له مع فؤاد وجلوسى معه أكثر من مرة لم أشعر بشىء منه ، ما الأمر هل كان الأمر سرى لهذه الدرجة ؟

أجابتى سارة بالتأكيد قائلة :- صدقينى لم يكن بيننا أى علاقة وفوجئت به يحاول الاتصال بأبى عن طريق أحد معارفنا وقد قرر أبى أن يأتى لزيارتنا يوم الخميس .

نظرت إليها قائلة :- بدون حب يا سارة ، ستبدأى حياتك مع رجل لا تشعرى معه بأى نوع من الحب ؟

- سأتعرف عليه عن قرب فى فترة الخطوبة يا زهرة ، أنا لست حمل وجع الحب ، لا أتحمل تبعات الحب يا زهرة .

أكملت سارة حديثها قائلة " سأنتظرك يوم الخميس حتي لا أشعر بالربكة ".

- حسنا لا تقلقى سأكون بجوارك . وابتسمت ابتسامة حيرة .

حولت سارة اتجاه الأسئلة قائلة :- ماذا عن الخطاب يا زهرة لم أجده فى الصندوق وأنا فى طريقى اليك ؟ هل أخذتيه وترددتى فى الأمر ؟

أجبتها بالنفى :- لا لقد أخذه هو .

هبت سارة وسألت :- ماذا وهل رأيتيه ؟

شرفت بعض الماء ثم أجبت :- للأسف كنت غرقت فى نومى ولكنه أرسل لى هذا الخطاب وأعطيتها الخطاب لتقرأه .

- وماذا ستفعلى ؟

- يبدو أننى سألقبه بالفت ، لقد أثارت ذهنى تلك المغامرة .

- كونى حذرة يا زهرة .

- لا تقلقى سأخبرك بكل شىء اولا بأول .

ابتسمت سارة وقالت لى يجب أن تذهب الأن وقالت لى يجب أن نذهب إلى الجامعة غدا سأمر عليك كى نرى ماذا سنفعل هذ الترم .

تركتنى سارة هائمة بداخل أفكارى . ما الأفضل الزواج عن حب أم الزواج بالطريقة التقليدية ، أسرعت تجاه الحاسب كى أبحث عن أراء العلماء فى هذا الصدد وقد وجدت صفحة بها غايتى ولم أحاول البحث عن آراء أخرى ، يبدو أننى أبحث عن رأى يؤيد رأيى فى الزواج عن حب ، لم أبحث عن المميزات والعيوب والمقارنة بين النوعين بقدر ما بحثت عن رأى يؤيد الزواج عن حب .

وجدت ذلك الرأى (مع الحب الزواج ينجح دائمًا.. هذا باختصار ما توصل إليه الطبيب النفسي الإنجليزي «توني ليك» في أحدث دراسة نفسية له.

وهو يقول إن الزواج دون حب أمر مخيف.. لأن الارتباط العاطفي يعني وجود اثنين معًا في رحلة سوية ويتوج الاثنان الحب بالزواج حتي يمكن لهما الإحساس بالأمان.

والإحساس بالأمان في الزواج القائم علي الحب يأتي من إحساس الطرفين معًا بقدرة كل منهما علي رعاية الآخر ومشاركته، والزواج القائم دون حب يجعل كلا من الطرفين غارقًا في إحساس بالعزلة والخوف والترقب والقلق.. ويمتلئ كل طرف بالرغبة في جرح الآخر.

ندفع ثمن الزواج دون حب من صحتنا النفسية والعقلية لأننا بالحب ندرك أنه بإمكاننا معًا الانتصار علي المشكلات التي نلتقي بها ولكن عندما يختفي الحب مع الزواج فنحن نلقي بمشاكلنا فوق أكتاف الطرف الآخر نطلب منه أن يحلها وحده وهكذا يصبح كل طرف في الزواج دون حب واقفًا في مكانه.. خائفًا يحمل فوق أكتافه مشاكل الطرف الآخر.

في الزواج القائم علي الحب يمتلئ قلب الإنسان بالإحساس بأنه محبوب ومقبول لشخصه بكل صفاته الحلوة والسيئة، وفي الزواج دون حب يعرف كل طرف أنه يعيش مع الطرف الآخر من أجل هدف آخر كالمال أو النفوذ، وفي هذه الحالة يصبح الزوج الثري بخيلاً وتصبح ابنة صاحب النفوذ أكثر قدرة علي معايرة زوجها بما يحتاجه من والدها!! وتتحول الميزة التي نتزوج طرفًا من أجلها سيفًا مسلطًا فوق رقابنا!!
أيضًا من رأي د. توني ليك أنه في الزواج القائم علي الحب يجد كل طرف القدرة علي الانسجام مع نفسه ومع شريك حياته وعندما يختفي الحب من الزواج تصبح الحياة مع النفس عذاباً وتصبح الحياة مع شريك العمر عذابًا، فيلجأ الرجل إلي الغرق في عمله أو التواجد معظم الوقت مع أصدقائه خارج البيت وتلجأ المرأة إلي قهر الأطفال أو إدمان المهدئات والسعي إلي النميمة مع صديقاتها!!
في الزواج القائم علي الحب أنت تعيش ونوافذ أحاسيسك مفتوحة لاستقبال وإرسال رسائل المودة والتفاهم ومع الزواج دون حب تصبح كل النوافذ مغلقة غير قادرة علي إرسال أو استقبال أية رسائل!!
انتهت الدراسة النفسية للطبيب الإنجليزي توني ليك ولكن هل صحيح الزواج بدون حب خطر بالفعل؟!

حاولت أن أتخلص من تفكيرى فى الحب بأن أغامر مع المجهول ، أخرجت ورق مقوى وقلم وكتبت كلمة واحدة بخط عريض " الفت "ونزلت ووضعت الخطاب داخل الصندوق ،وبهذا قبلت مجهول فى حياتى ولكن لا أعرف هل هذا الشخص هو الوحيد المجهول لى ؟ أم بحياتى أناس واقعين مجهولين بالنسبة لى ، أعتقد أنى لا أرى دواخل أحد بصورة مكتملة ولهذا فلا أحد معلوم بالنسبة لى بصورة كاملة ، الجميع مجهولين بصور متفاوته

جاء يوم الخميس على نغمات اتصالية صباحية من سارة قائلة " هيا يا سارة أرجوكى ." أجبتها سأكون بجوارك بعد ساعة من الآن لا تقلقى كل شىء سيصبح على ما يرام ، ما زال الوقت مبكرا على كل هذا القلق يا رفيقة .
جاء المساء وكانت سارة تنتمى إلى كون البهجة الممزوج بالقلق ، حاولت التخفيف من حدة قلقها قدر امكانى ، ، دخلت سارة وسلمت على الجميع ولم تنطق ببنة كلمة ، حتى اتفقا الموجودين على اعلان الخطوبة بعد اسبوعين من الأن ، ليتك تعود يا فؤاد كى نحتفل جميعا ونفرج معا .

مر الأسبوعين مرور البرق فى حضرة التجهيزات ، وجاء اليوم الموعود فى حضرة أقارب سارة ودق جرس الباب لأجد أمى مرتدية فستان أسود يفوح منه الجمال ، جاءت فى صحبة جدتى التى كانت تمشى على مهل للمباركة لرفيقة حفيدتها ، الأغرب أنهم جاءوا برفقة شمس ابن عمى والذى يعمل طبيب نفسى ، دخل شمس يرتدى بدلة كحلية اللون ورابطة عنق فى منتهى البساطة ، دخلوا ليسلموا على الموجودين بالحفل ، من بعدهم دخل محمد ، دخل دخلة مرتبكة عيناه تلمعان من الفرحة ، أشعر كأنه يملك الدنيا وما فيها بدلته فى منتهى الأناقه ، مهذب لشعره ، حذائه يشبه سواد الليل فى أناقته .
دخل محمد كشخص يبدو عليه الفرحة برؤيته لسارة التى خرجت من غرفتها مرتدية فستان ملون كالفراشات ، ووجهها به نضارة كالبدر ، ترتدى كعب عال زاد من أنوثتها .

وفى وسط التهانى والزغاريط والتصفيق والأغانى طوق محمد اصبع سارة بدبلة ذهبية رقيقة ليعلنوا بذلك عن كتابة أول سطر فى وثيقة حياتهما .

بعد انتهاء الحفل قمت بالمباركة لسارة مرة أخرى وقمت بوادعها على أمل اللقاء القريب وأخبرتنى أنها ستتصل بى غدا . قام شمس بتوصيلنا وجدتى وأمى . كنت أريد أن أعرف هل قام " الفت " بأخذ الخطاب أم لا ، ولكى لم استطع الرؤية ، وخشيت أن يلاحظ الجميع ذهابى نحو الصندوق ، فقررت أن أدخل البيت معهم حتى لا يشك أحد فى امرى .

دخلت غرفتى وأمسكت هاتفى وراسلت فؤاد قائلة " كانت خطوبة سارة ومحمد مبهجة اليوم " أجابنى فى رسالة " ستكون خطوبتنا فى الأيام القادمة أكثر بهجة " . تمنيت هذا اليوم على أمل أن يكون الوصل بيننا فى الأيام القادمة على مرمى ومسمع من الجميع وما عكر صفو ليلتى هو تذكرى أن فؤاد لا يعلم حتى الآن بكبوة حادثى وما أثلج قلبى أنه دائما كان يقول لى أنه يحب روحى ولا يعنيه أى شىء آخر .

فؤاد فى بيتنا

استيقظت فى صباح اليوم التالى على ضوء هاتفى رسالة من فؤاد رسالة تضمنى إلى أعماقه رسالة جعلت قلبى يثور من كثرة اشتياقى اليه أرسل لى قائلا " إنى غارق فى رؤيتك الآن " . دائما رسائلك مبتكرة تشبه الأساطير أسرعت للرد عليك وقد تذكرت سارة التى دئما تقول لى " بلهفتك هذه تصنعى لذاتك المخاطر بدون وعى " ، أى وعى هذا يا سارة لإمرأة عاشقة ؟ العاشقون يا صديقتى غالبا مغيبون عن الوعى إنهم يستنشقون الحب ورسائله كما يستنشق المدمن المروفين ، ان الحب هو مخدر حياتى .

تلهفت فى الرد عليك يا فؤاد كعادتى وأرسلت لك قائلة " إنى امرأة متورطة فى حبك حد الإعياء ." دخلت كى أنعش جسدى بالماء كما انعشت أنت قلبى برسائلك ، خرجت مبتلة بالماء ، نوعا اكثر أنوثة إلا من ذلك الذراع الذى لا يوجد به عرق ولا دم .
قررت أن أذهب لأمى على سجيتى مبللة كما أنا ، آملة أن تمشط لى شعرى وأنا أقص لها قصتى مع فؤاد ، طرقت باب الغرفة واختلط صوتى بدقات الباب قائلة " أمى " أجابتنى " ادخلى يا زهرة " ، أدخلتنى أمى غرفتها ، اندهشت مما رأيت ، كل شىء مختلف لم تعد الغرفة كما كانت أيام والدى وقبل حادثى ، اختفى الكرسى القديم الذى كان يحبه والدى ويعتبره شىء أسطورى لا يجوز التفكير فى الافراط فيه ، ويعتبر الافراط فيه جريمة حقوقية كما كان يقول دائما، أصبحت الغرفة ، أصبحت الغرفة أكثر حيوية ألوانها مبهجة ولكن برغم جمالها هذا ، شعرت أنه جمال واهم ، فالذكريات هى من تجمل المكان ، ويبدو أن أمى ألقت بالذكريات وراء ظهرها كى لا تعوقها عن حياتها الجديدة .
هكذا يا أمى بدأت أقلق عندما شعرت بأنك تلقى بجميع ذكرايات هذا المنزل خلف ظهرك سألت " أأنت خارجة يا أمى ؟" أجابتنى " نعم هل تريدى شىء من الخارج " أجبتك وعينى تلمع باحتياجى للحديث معك " لا كنت أريد أن أتحدث إليك فقط " أجبتينى بصوت تملأه العجلة " حسنا لنتحدث فى وقت لاحق ، أعتقد أنى سأرجع مبكرا ." لامست يدك وجنتى وقلت لى وأنت تلتقطى حقيبتك فى عجلة حسنا يا زهرة ، لا تقلقى سأذهب الآن ." وقبل أن أجيبك بأنى قلقة فعلا ذهبتى بسرعة البرق .

وقفت حائرة بداخل الغرفة ، لا أملك البكاء ، ولا أملك الصراخ ، ولا أملك الجلوس مع أمى .
قتل حيرتى صوت جدتى القائل " زهرة " ذهبت اليها مسرعة لأدفن رأسى بين ضلوعها مرددة بصوت مخنوق من أنا يا جدتى ؟ أجابتنى وهى تمسح على ظهرى " لا أحد يعرف من يكون لأننا نتغير دوما ، يوم بعد يوم يا زهرة ، نحن لا نبقى على وتيرة واحدة فنحن انسان والانسان يتغير تبعا لتغيرات الظروف من حوله لذلك لا أحد يستطيع أن يعرف من هو .
أكملت حديثها قائلة " ولكن يستطيع الانسان اختيار النموذج الذى يريد أن يصبح عليه . تنفست بداخل جدتى وأخذ صوتى يخرج قائلا " أه يا جدتى كلامك يوجعنى "
أجابتنى بعد صمت دام للحظات " من الأفضل أن يوجعنا حديث أحبتنا ،ذلك أفضل من أن تؤلمنا التجارب ، ولكن قد نحتاج لتجارب واقعية لنؤمن بحديث الآخرين " ، صمت قليلا ثم تنفست قائلة " والآن يا زهرتى قلبى مفتوح لك ، حدثينى عن ذلك الرجل الذى يؤرقك وذهبتى لوالدتك كى تحى لها عنه ولم تعطك الفرصة لذلك .

أجبتها بتلعثم " من أين عرفتى كل ذلك يا جدتى ". أجابتى مشيرة إلى يدها " تلك التجاعيد أخبرتنى ، ثم ان للحب علامات يعلن عنها وجهك كل يوم يا زهرة . أجبتها " علامات ماذا يا جدتى أرجوكى حدثينى عن علامات الحب تلك " .
أخذت جدتى تجلسنى أمامها وبدأت ترسل شعرى وراء ظهرى وتمشطه وهى تقول لى : سأحدثك عما لاحظته عليك يا زهرة وهذا ما جعلنى أتيقن من أن رجل بحياتك ولكن لا تفهمى من حديثى هذا أنى أتيقن من الطرف الآخر لأنى لم أراه ما أنا متأكده منه حبك له ، لم تعطنى جدتى فرصة للاجابة وبدأت ترسل فى الحديث بعد تنهيدة أصدرتها :-

أولا / الانبساط والانطواء: - أحيانا تكونى فى قمة السعادة وأخرى فى قمة الحزن يا ابنتى ، وهذا المزاج المتقلب يدل على تقلب علاقتكما دوما . قاطعتها قائلة " بالفعل ففى الأيام التى يراسلنى فيها أشعر باقبالى على الحياة وفى أيام هجره لى أشعر ببغض تلك الحياة . قاطعتنى جدتى قائلة " لكن للاسف لا نستطيع أن نحكم من هذا على حبه لك بل نستشف من حديثك هذا حبك أنتى له " . جعلت أردد فى جوفى " هكذا يا فؤاد جعلتنى أظهر أيات حبك لكل ذى بصر ، فماذا عنك أنت ." اقتحم صوت جدتى تفكيرى واذا بها تقول " أما العلامة الثانية البكاء ، فلقد أصبحتى فى الفترة الأخيرة يا زهرة كثيرة البكاء على غير عادتك وذلك دليل أن فى قلبك يريده بشده " .

اللعنة دق جرس الباب أثناء حديث جدتى أريد أن أكمل حديثها بلهفة ، ذهبت لأفتح الباب ، اذا هى ابنة عمى " هاجر " رحبت بها وأدخلتها قد أتت لتطمئن علينا ، حسنا جلست وبدأ الحوار التقليدى من معرفة الأخبار وغيره من الأشياء التى لا تجذبنى كثيرا ، بعد ما يزيد عن نصف ساعة ، أعلنت هاجر عن استعدادها للنزول ، أجبتها اذا لأنزل معك كى أشترى بعض الأشياء من الخارج ، نزلت مع هاجر بحجة احتياجى لشراء بعض الأشياء ، وكان فى رأسى أن أطلع على الخطاب هل مازال بالصندوق أم ماذا ، نزلت معها وذكرت لها أن طلبى هنا من محل قريب ، وودعتها بابتسامة وهرولت نحو الصندوق لأفجأ بأن الخطاب غير موجود وموجود خطاب بديل عنه قد وضعه " الفت " لى أخذت الخطاب وهرولت إلى المنزل دخلت المنزل وجدت جدتى قد غرقت فى النوم دخلت غرفتى بدأت أفتح الخطاب ووجدت الكلمات التالية " غمرتينى بنشوة قبولك لى بحياتك ، ليتنى أتوج أحلامى بك ، وأطوق آمالى بأنفاسك " . رسائل دائما غامضة وغير مفسرة ، لماذا وضعت نفسى بداخل تلك الغرفة المليئة بالحيرة " . قررت أن أضع له خطابا مستفسرة عن غموضه هذا ، أخرجت الورق والقلم وكتبت لك " لماذا غموضك هذا ؟ ألم يحن الوقت لأن تفصح عن شخصيتك ؟ " ذهبت نحو الباب كى أضع الخطاب فى الصندوق ، ولكن لم أستطع فلقد شعرت بمفتاح يولج الباب هرولت نحول غرفتى لأدس الخطاب بداخل ملابسى ، لأجد صوتى أمى ومعها زوجها يعلنا عن حضورهما ، خرجت وبداخلى فراغات شديدة نحو ذلك الرجل ، خرجت كما أمرتنى أمى لأضع يدى فى يده معلنه السلام معه ، وما ان استيقظت جدتى ، حتى دخلت غرفتى لأبتلع ثلاث حبات من المنوم لأموت داخل النوم كى لا أتذكر شىء .

استيقظت من نومى فى اليوم التالى ، جسدى به وخم شديد ، ليتنى استطعت كسر روتين حياتى هذا بأكثر من شىء ، مسكت هاتفى وجدت مكالمات فائتة من فؤاد ، يا للحظ ليتنى ما نمت لو أعلم باتصالك هذا لظللت مستيقظة لأيام حتى يسمح لى الزمان بسماع صوتك ، حاولت الاتصال بك يا فؤاد فوجدت هاتفك مغلق ، ربما يكون لديك عمل الأن .

خرجت من غرفتى فوجدت أمى بوجهى وكل من وجهته لى من حديث " لماذ لم تجلسنى معنا أمس ، وودت لو أجيبها لانك لم تجلسى معى وقت حاجتى اليك ، ولكن اكتفيت عفوا يا أمى لقد انتابنى ألم فى الرأس وغرقت فى النوم ولم أبرح السرير غير الآن ، لو تعلمى يا أمى بأنه لم يكن ألم بالرأس بقدر ما هو ألم فى النفس لاشتد حنانك على " .
جاءت سارة فى الصباح كى نذهب للجامعة سويا ، جهزت ونزلت معها ووضعت الظرف بداخل الصندوق ، فذهلت سارة وقلت " ما هذا يا زهرة ؟" وحكيت لها عما حدث .
ذهبت الجامعة وأنا ممسكة بهاتفى لعل فؤاد يبعث برسالة أو يهاتفنى ، دخلنا المحاضرات وبعد خروجنا وجدت رسالة من فؤاد تقول " اخبرى والدتك أنى سأتى لخطبتك يوم الخميس المقبل " . تعمقت الفرحة بداخل جوانبى ونسيت كل ألام الماضى وأخبرت سارة برسالة فؤاد ووجدت سارة صمت وقلقت فجأة وعرفت بماذا تفكر ؟ قلت لها " اعتقد بأن فؤاد لن يفكر مثلك ، فلم يبين لى قبل ذلك ولعه بالجسد قدر ولعه بروحى ، أرجوك لا تفسدى على فرحتى " ابتسمت سارة قائلة " حسنا " أخبرى والدتك وجدتك لكى نرتب تجهيزات يوم الخميس " .

وصلت إلى المنزل وقبل صعودى إلى الشقه فحصت الصندوق لم أجد فيه أى رسائل جديدة ، لا أدرى لماذا جاءنى شعور بالقلق عندما لم أجد أى رسائل جديدة ، صعدت المنزل وقمت بوضع يدى على الجرس ولم يجب أحد على ، أخذت أفتش فى حقيبتى عن المفتاح حتى وجدته مخبأ فى جيب خلفى للحقيبة ، أولجت المفتاح فى الباب ، ودخلت الشقة ، مسرعه نحو الثلاجة لأشبع عطشى ، وجدت ورقة ملصوقة على الثلاجة تقول " ذهبت مع جدتك عند طبيب العيون ، لا تقلقى يا زهرة سنرجع سريعا ، عندما تقرأى تلك الرسالة ، قومى بالاتصال بى ، لقد حاولت الاتصال بك ولكن هاتفك مغلق وفى نهاية الرسالة موقعة بأمك " تناولت شربة ماء ، ثم ذهبت إلى الحقيبى لأفتش عن هاتفى ،لأجده قد نفذ شحنه ، وضعته فى الكهرباء ، وبدأت أهاتف أمى قائلة لها لقد وصلت حالا إلى المنزل أجابتنى أمى بأنها فى طريق الوصول إلى البيت الآن "

توجهت نحو التلفاز فاتحة اياه وجلست على الأريكة وبدأت أفتح حاسبى ، قمت بفتح بريدى الإلكترونى فلم أجد به أى جديد جميعها رسائل اعلانات عن منتجات وغيره ، فتحت حسابى الفيسبوكى لأحد رسالة من الأكونت المجهول مكتوب فيها " لست غامضا ، إن أردتى أن تعرفينى فسيكون ذلك سهلا جدا ، فالانسان ينال فقط ما يصمم على الوصول إليه " التوقيع الفت ، وقبل أن أحاول الوصول إلى صفحة إلفت توقعت أنها ستكون أغلقت وبالفعل هذا ما حدث ، عندما فحصت الصفحة وجدتها غير متاحة .

فجأة وجدت أمى وجدتى أمامى ارتبكت واغلقت الحاسب وبدأ صوت أمى يقول " ذهبنا لتغير نظارة جدتك ." أجبتها " حسنا " واتجهت نحو جدتى متسألة " هل أنتى بخير يا جدتى ؟" أجابتنى بابتسامة " نعم لا تقلقى الأمر بسيط كنت فقط أغير النظارة لعدم قدرتى على الرؤية بها بشكل جيد ". همت جدتى للذهاب إلى تغير ملابسها ، وجاءنى صوت أمى لأحضر معها طاولة الطعام ، ذهبت لوضع الأطباق على الطاولة وكل فكرى كيف سأبدأ الكلام بخصوص فؤاد ومجيئه يوم الخميس القادم ، بدأنا فى تناول الطعام وكنت أعبث بالطعام ولا قدرة لى عليه ، جدتى تحدث أمى وفجأة وجدت اسمى يتررد " زهرة زهرة " ، التفت واذا هى جدتى تقول " اتحدث اليك منذ فترة ماذا حدث؟" أجبتها " لا شىء ،أنا بخير " التفت أمى إلى قائلة :- " ما الأمر يا زهرة ." أجبتهما والكلام يتلعثم داخل فمى " هناك معيد لى بالجامعة يريد أن يأتى إلينا يوم الخميس المقبل " وتوقفت عن الكلام ، جاء صوت أمى مسموع قائلة "يأتى لماذا هل حدث شىء بالجامعة " أجبتها " لالا ليس الأمر كذلك " ، ابتسمت جدتى وقالت " هل تقصدى يأتى لخطبتك

يا زهرة " توقف حينها عن الطعام وأومأت برأسي لأوافق على كلام جدتى . قالت جدتى " اذا أخبريه ان يهاتفنا يا زهرة " أجبتها بربكة " انه فى الخارج يا جدتى " انطلقت أمى فى الحديث قائلة " وهل يعلم يا زهرة بأمر يدك " أجبتها والدمع يجرى على وجنتى " لا لم يعرف حتى الآن " تركت الأكل وذهبت إلى غرفتى أخفف من حدة بكائى.

أتت جدتى خلفى وبدأ تخفف من فاجعتى قائلة " لا بأس يا زهرة فليأتى " اجبت جدتى " صدقينى ان روحى عنده اهم من جسدى " أخبرتنى جدتى بأن أهدأ وأستريح قليلا ثم نتحدث فيما بعد نمت من شدة بكائى ولم أشهر بنفسى إلا فى صباح اليوم التالى .

استيقظت من نومى وعيناى منفوختان من أثر البكاء ، دخلت جدتى غرفتى متجهة نحوى قائلة " لم يكن هدف والدتك أن تدخلك فى كوكب حزين يا زهرة بالأمس ، ولكن لابد أنها كانت تود أن تطمئن على ابنتها ، فهما كانت الإحتمالات عسيرة يا ابنتى يجب أن نضعها نصب أعيننا ." نظرت إلى جدتى فى كسرة " لم أشعر بفؤاد تلك القسوة يا جدتى ، أريد أن أتنفس بوجوده بجوارى " نظرت لى جدتى نظرة حيرة وبعد صمت دام دقائق قالت " اجعليه يأتى يو الخميس يا زهرة ، ولكن بكل الحالات يجب أن تكونى بخير ."

دنوت نحو قلب جدتى وحدثتها قائلة " أكملى لى علامات الحب يا جدتى " ابتسمت ثم قالت من علامات الحب الشرود فأنت فى الفترة الأخيرة كنت تشردى أثناء جلوسك معى تشردى كطائر تاه عن سرابه ، تسكنى بداخل شخص موجود معك رغم غيابه عنك .
أجبتها وماذا أيضا ؟ ابتسمت جدتى قائلة هذا ما لاحظته عليك فعلامات الحب لا تكتمل الا عندما أرى الشخص الأخر ، عندما أراه يوم الخميس سأخبرك بباقى العلامات يا صغيرتى .

جاءتى سارة فى السادسة مساءا ، وقد حدثتها عما حدث بينى وبين أمى وجدتى فقالت لى " الانسان يتغير بين لحظة و أخرى يا زهرة انا لا أريد أن أقلقك ولكن أقول لكى ما يجب أن أقوله " . ثم عدلت من حدة حديثها قائلة لى ما رأيك لأن نذهب اليوم لنشترى متطلبات يوم الخميس وافقتها الرأى وبالفعل نزلنا واشترينا فستان وللأسف لم أشعر بالفرحة قدر شعور بالقلق الناجم عن حديث الأخرين .

جاء يوم الخميس وقد جاءت سارة من الصباح ورتبت المنزل مع أمى وجدتى وجهزت قطع الجاتوه والمشروبات للضيوف ، جاء الخميس مع رنات من قبل فؤاد " سوف أكون عندكم فى الموعد المحدد سأكون موجودا بصحبة والدتى فى الساعة السابعة مساءا انتظرينى " كاد قلبى أن يقف من شدة القلق والفرحة وأجابته متسألة " هل تحبنى يا فؤاد ؟" أجابنى بضحكة ساخرة " ما هذ السؤال السخيف ، أقول لك انتظرينى فى بيتكم وتسألينى هل تحبنى ما هذا السخف يا زهرة " . أجبته متوسلة أرجوك أجبنى أجابنى قائلا " لا لست بمحب لك ، بل بمتيم " أجبته قائلة " هل ستظل تحبنى رغم كل شىء " أجابنى " يبدو أنك مهوسة اليوم نعم يا زهرة سأظل أحبك رغم كل شىء " حينها تنفست الصعداء . وأجبته مازحة " لا وقت عندى اذا فأنا عروسة اليوم ، أريد أن أظهر بأبهى صورتى هيا أغلق الهاتف." أغلق الهاتف فؤاد ما إن أغلقه حتى حدثت سارة عما حدث وجاءت اجابة سارة " ليتنا أخبرناه يا زهرة ، قلت لك أن نذهب الجامعة أمس فقد علمت من محمد أنه ذهب الجامعه بالأمس كنا سنتخلص من هذا القلق ، أو على الأقل كنا أخبرنا محمد أن يخبره بدلا من أن حلفناه بعظيم الأيام أن لا يخبره " ،

أجبتها هذا ما حدث يا سارة أرجوك لا توترينى أكثر " أجابتنى لا قلق ولا شىء كونى قوية فأنت روحك هادئة ومجبر أى شخص يحبك رغم كل شىء " .

ما زالت الساعة الثانية والنصف بعد الظهر اقترحت على سارة أن نفتح الحاسب قليلا قبل أن نبدأ فى تجهيزى لمقابلة فؤاد " أخذت أقلب فى صفحات الفيس بوك لم أجد ما هو بجديد ، الا من خبر يتمثل فى احتفال عروسان بزفافهما تحت الماء والخبر كان يقول بالتفصيل " حفل زفاف مع أسماك القرش يوجد في ولاية فلوريدا الأميركية منتجع تحت سطح الماء حيث يمكن للأفراد حجز غرف للمبيت والاستمتاع، من الممكن أيضاً الاحتفال بزفافك في هذا المنتجع، وكل ما عليك فعله هو اصطحاب عدة الغوص ".
وبصحبة الخبر صورة للعروسين تحت الماء . جذبت سارة لتراه وأخذت ضحكاتنا تعلو من دهشتنا لذلك الخبر ، تنبهت سارة لاعلان صندوق الرسائل عن رسالة جديدة قائلة " زهرة يبدو أن أحدهم أرسل لك رسالة اطلعى عليها " . فتحت الرسالة بعبثية شديدة قائلة بصوت عالى " سارة انه الفت تلقت منى سارة الحايب بسرعة قائلة لنرى صفحته سريعا قبل أن يغلقها وبدأ تقول سارة " أوف لم أستطع رؤية الصفحة أيضا ، اذا اقرأى الرسالة يا زهرة " بدأت أقرأ بصوت عال " أفضل أن ترى دواخل الآخرين بتعمق قبل الحكم عليهم ، فالاختيارات اما أن ترتفع بالانسان لأعالى السماء وإما أن تدنو به لقاع الجحيم ."
أجابتنى سارة " ما كل ذلك الغموض " أجبتها هو أرسل لى بأنى لو أردت معرفته لعرفته ولكن كيف ؟ " أجابتى سارة قائلة " كل ما يدور بخلدى الآن أنه شخص قريب منا " أجبتها بعد نفس طويل لا أدرى ربما " .

دخلت أمى قائلة " ما زلتا لم تجهزا حتى الآن هيا أسرعا لقد حان الوقت " بالفعل قمت لغسل وجهى وارتديت الفسان المزين بوردة كبيرة موضوعة فى المنتصف وقامت سارة بوضع المساحيق على وجهى حيث حددت عينى بالكحل الأسود ووضعت طلاء الشفاة الوردى على شفتى ، جاءت جدتى قائلة " حماك الله يا ابنتى " بدأت مشاعرالخوف والرعشة والفرحة والحيرة تدب بوجهى حين سمعت جرس المنزل يعلن عن قدوم فؤاد ووالدته .

خرجت جدتى لتستقبل فؤاد ووالدته مع والدتى ، ثم جاءتنى أمى قائلة " لتدخلى على مهل وابتسامة رقيقة " . دخلت فى رهبة من موقفى ، نسيت أمر ذراعى كل ما أتذكره الآن أن فؤاد فى بيتنا جاء ليخطبنى ، فؤاد يجلس فى مقابلة والدتى ، وجدتى ووالدة فؤاد يتكئان على الأريكة المقابلة لوجهى الآن ، ألقيت التحية على الجميع وجلست على أقرب كرسى لشدة توترى . أخذ الصمت ثوانى ثم قالت جدتى مازحة " زهرة لا تجيد الثرثرة كثيرا دائما خجولة " . أجابت والدة فؤاد حماها الله ، قدمت سارة الجاتوه والمشروبات مع أمى ، الى أن لاحظت والدة فؤاد " أنى اتناول مشروبى بيدى اليسرى " جاءت لحظة هلعى الآن حسمت جدتى الموقف وسردت أحداث وقعتى المؤلمة . نظرت لى والدة فؤاد قائلة " لا عليك يا ابنتى فالله يأخذ منا ليعطينا أشياء أجمل " . تعبيرات وجه والدة فؤاد تدل على ايمانها بالقدر ، تؤمن بعدم معاقبة الشخص الذى أصابه القدر ، تؤمن بأن البشر متساون حتى وان أخذ الله شىء من أحدهم بدله بأعظم منها يا لها من أم عظيمة ، ارتحت كثيرا لحديث والدة فؤاد وارتاح الجميع وابتسموا ، بدأت أنظر لملامح فؤاد لم يتبن لى منها شىء إلى أن جاءنى صوت والدته قائلة لى " فؤاد لا يستطيع يعبر عن مشاعره بسهولة يا زهرة ، انه خجول مثلك " ابتسم فؤاد وابتسمت واتفقت والدتى مع والدة فؤاد على أن يتم شراء الدبل والخطوبة يوم الخميس القادم ، لن أستطيع أن أوصف تلك النشوة فقد كانت مقلتاى تدمع فرحا ، وقلبى ينفس ولعا بالحب .

انتهى اليوم بقبلة من والدة فؤاد على جبينى ودعوة من جدتى وابتسامة حنان من سارة وعيون شفقة من أمى . انتهى اليوم بمجىء محمد كى يأخذ سارة لتوصيلها إلى منزل وما أن هدأ المنزل حتى قمت بازلة جميع المساحيق التى أشعر بأنها تخنقى، أشعر باحتباس وجهى بداخلها ، مسكت هاتفى لعل فؤاد يرسل لى بشىء الا أنه لم يفعل شىء تلك الليلة ، بررت موفقه بقولى " ربما مرهقا ، أو يود النوم والراحة ".

فى صباح اليوم التالى ذهبت مع سارة إلى الجامعة إلا أن فؤاد لم يأتى ، حاولت الاتصال به إلا أن هاتفه أصبح مغلق ، هدأتنى سارة قائلة ربما ما زال نائما يا زهرة لا تقلقى .
جلسنا فى ساحة داخل الجامعة وجعلت سارة تغير الموضوع متجهة نحو إلفت أجبتها لم يحدث جديد بعد أخر رسالة الكترونية ولكنى أود كتابة خطاب له سأكتب له " من الأشخاص الذين يجب علينا الحذر منهم ؟، لعلى أصل لمعلومة بشأن ذلك المغامر ، أخرجت ورقة وقلم وشرعت فى كتابة الرسالة ، وقلت لسارة " سأضعها قبل صعودى للمنزل " أجابتنى سارة " ولكن ربما يعلم فؤاد ويغضب يا زهرة لمراسلة لشخص مجهول " أجبتها بضحمة ساخرة " وأين هو فؤاد ، ومن أين سيعلم " أجابتى سارة " ماذا تقولى يا زهرة فؤاد أصبح خطيبك الآن " أجبتها " لا أعرف كلما غاب عنى فؤاد للحظات أشعر بضيق فى نفسى لدرجة أننى يمكن أن أتصرف بغباء حتى أمحو التفكير فى غيابه عنى " .
جاء موعد المحاضرة ذهبنا ، وبعدها جاء محمد ليعزمنا على الغذاء تناولنا الغذاء ، لم تثيرنى النظرات الواقعة بين محمد وسارة ، شعرت أنها نظرات اعتياد وليست نظرات عشق حارة .
أوصلانى محمد وسارة إلى المنزل ، وقمت بوضع الخطاب داخل الصندوق وصعدت المنزل .

ما إن دخلت حتى قالت لى أمى " والدة محمد تبعث اليك السلام عبر الهاتف وتقول ما حال عروستنا الجميلة " ابتسمت ابتسامة لهفة وتسألت " وهل تحدث فؤاد ؟" قطعت جدتى الحوار قائلة " لم يتحدث يا سارة قد أخبرتنا والدته أنه نائم ، لا تقلقى فقلبك هذا يتمناه الكثير من الناس " . غيرت والدتى مجرى الحديث قائلة " هيا للطعام " لم أتناول الطعام بشهية بل تناولت بقلق لا أستطيع وصل فؤاد فقلبى قلق بشأنه .

دخلت غرفتى ، متناولة قرصين من علبة المنوم ، كى أنسى التفكير فى فؤاد ، أواه يا فؤاد لقد أصبح حبك ادمان لا أستطيع العيش بدونه ، هل أصبحت بلهاء فى حبك ؟ ، لماذا غبت ثانية هل أصبح الغياب هدفك ؟ تذكرت ذلك اليوم الذى تغيبت فيه عن الجامعة ، وهاتفى مغلقا ولم يكن أى وسيلة للاتصال بيننا بسبب الحمى الذى زراتنى على فجأة ، هرولت نحو سارة كما قالت لى وتسائلت " أين زهرة ، هل هى بخير ؟" . أجابتك " بأنها لا تعلم شىء ، فقد كان اتفاقنا أن نتقابل فى الجامعة اليوم ، وأنها حاولت الاتصال بى عندما وصلت الجامعة لكن هاتفى مغلقا ، قالت سارة أنك حلفتها بغليظ الأيام أن تذهب لى وتطمئنه حالما وصلت إلى " . رجعت لسارة قبل انتهاء المحاضرات " وسألتها أن تتصل بجدتى كى تطمئن وأجابتك سارة بأنها اتصلت لكن جدتى لا تجيب على الهاتف أيضا " وعندما جاءت لى سارة أخذت تقول لى " تلك الحمى ستزول عندما تعرفى ماذا حدث اليوم من فؤاد فى الجامعة " سيموت فؤاد ان لم يعرف ماذا بك يا زهرة ، حكت لى سارة عما حدث بينك وبينها ، ووجدت اتصال منك على هاتف سارة التى أجابت وطمئنتك على حالتى فتنفست الصعداء كما قالت أعطتنى سارة الهاتف وحدثتى لأكثر من خمسة عشرة دقيقة فقط لتطمئن على كل جزء بى " دخلت فى نومى المفتعل بواسطة الأقراص المنومة تلك الليلة الثقيلة جوها بدونك يا فؤاد .

فى اليوم التالى نزلت اتفحص الصندوق الذى يوضع لى إلفت به الخطابات فوجدت خطابا فدق كل جزء بى تجاه الخطاب لا أعرف لماذا فرحت بالخطاب ؟ لكن ربما لأن المغامرات دائما تبعدنا عن التفكير فى الأشياء التى تحقننا بسرنجات الوجع . صعدت المنزل ودخلت غرفتى وبدأت أقرأ " لن أطيل عليك الأشخاص الذين يجب أن نحذر منهم هؤلاء الأشخاص الذين يظهرون عكس ما يخفون ، كونى حذرة فهؤلاء الأشخاص لا يجب أن نندم فى ابعادهم عن حياتنا ."

دخلت غرفتى وليس فى خاطرى غير ذلك اليوم الذى أكلت الغيرة قلبت على بسبب كثرة حديثى إلى زميل لى بنفس القسم ، دخلت إلى قاعة المحاضرة وجدته يجلس بجوارى ويتحدث إلى كثيرا وينظر إلى عينى بشغف ، لم تسطيع الشرح ككل مرة يا فؤاد وأصابك الغضب على بعض الزملاء فى تلك المحاضرة وأنهيتها بالإعتذار عن تكملة المحاضرة وتعللت بصداع يقتل رأسك ، أنهيتها عندما رأيت زميلى فهد يكتب لى جملة لا تعرف مضمونها فى اسكتش المحاضرات ". خرجت مع سارة وانتظرنا المحاضرة التالية فى كافيتريا الجامعة " قالت لى سارة " ماذا كان بفؤاد اليوم يا زهرة " أجبتها لا أدرى الى أن جاءتنى رسالة غاضبة منك تقول " اياك أن تمزقى الورقة التى كتب فيها الشخص الذى كان يمكث بجوارك واياك ان تحاولى اخفاء أى جزء من الكلام المكتوب " . كان قد كتب لى فهد أنه يريدنى أن أشرح له جزء من مادة لدينا ، رسالتك كانت غاضبة ودوما كنت أخاف من غضبك لأن غضبك لا يسكن سريعا ، جئت إلى الكافيتريا وكان يبدو عليك الغضب وانتزعت الورقة المكتوبة وأخذتها واختفيت عن نظرى " . قالت لى سارة ماذا يحدث فحكيت لها عما حدث .

رجعت المنزل حاولت الاتصال بك كان هاتفك مغلقا ، أرسلت لك لعلك ترى رسالتى " لم يحدث شىء لذلك الغضب كله " . أجبتنى بعد أربع وعشرون ساعة مروا على كمرور الأحداث المهمة التى نتظرها فى حياتنا ، فدائما ما ننتظره يجعل الزمن يمر ببطء لا مثيل له ، أرسلت لى قائلا " اشرحى له " ارسلت لى كلمتين عرفت حينها أنك فتحت الباب للصلح فمها كانت رسائلك مندفعة بعد غضبك فأعلم أنها رسالة بداية للصلح بيننا . حينها هاتفتك وبدأ هاتفنا على هيئة غضب منك شديد وانتهى بتحذيرى من أن أعطى فرصة لأى شخص بالحديث العابر معى ، رغم أن قمعك لى كان ضد مبادئى ، ضد رؤيتى لحرية المرأة إلا أننى وافقت على ما طلبت منى لمجرد الخوف من فقدانك يا فؤاد .
صبرت نفسى حينما تذكرت ذلك الجزء من حياتى مع فؤاد ، بأن كل ذلك الحب فى تصرفاته لن ينساه بفعل أى شىء .

جعلت أعبث بحاسبى وطرأ على عقلى فكرة لا بأس بها سأكتب تلك الجملة على حاطتى الفيس بوكى وليكن ما يكن كتبت " إلفت ، ما الذى تعرفه عن الحب ؟" ربما يرى إلفت ذلك السؤال ويشاركنى فكرى المستمر هذا . بعد عدة ساعات وجدت رسالة من إلفت لم أحاول أن أفتح حسابه لانى من الصعب أن يكون متاحا لى ، فتحت الرسالة والتى كتب فيها " الحب حالة من امتزاج فردين بعضهما ببعض ، الحب أعمق من أن نمارسه هاتفيا أو أن ندنس طهارته بحصره فى عالم الجسد فقط ، كى أكن صريحا معك ، أنا أعشق رأى الفيلسوف فولتير " الحب من دون سائر العواطف أشدها فهو يهاجم فى آن واحد الرأس والقلب والحواس " . ضحكت بسخرية قائلة فى نفسى " وهل الفلاسفة لهم قصص فى الحب ، أليسوا مهتمون بقضايا أخرى " .
أغلقت حاسبى ولم أحاول الإجابة على إلفت فبامكانى الآن أن نتراسل عن طريق حائطى الفيسبوكى ورسائله المجهولة ، طريقة أسهل من طريقة الصندوق تلك .

خطوبة هاجر ابنة عمى

فى صباح يوم الثلاثاء دق جرس الهاتف المنزلى أجابت أمى وإذا هى والدة فؤاد " تطلب منها أن نؤجل الخطوبة مدة شهرين فقد جاء سفر لفؤاد تابع للجامعه فجأة ، أجابتها أمى دون تردد بالموافقة ، أعطتنى أمى الهاتف بناءا على طلب والدة فؤاد تحدثت معها وكانت فى قمة الاحترام لى ، حينها قالت لى فؤاد يريد أن يحدثك ، دق قلبى من لهفتى عليه وما ان تحدث حتى قال لى " اعتذر يا زهرة فالسفر جاء فجأة " أجابته لا عليك " أجابنى " اذا سنكون سويا فى المطار حتى أرك كأخر شىء قبل سفرى " اتفقا على ان نلتقى فى المطار .

وضت سماعة الهاتف سائلة أمى " لماذا لم تطلبى من والدة فؤاد أن تكون الخطوبة غدا قبل سفر فؤاد يا أمى " . لم تجبنى أمى بل أجابتنى جدتى فى ابتسامة هادئة " وهل يعقل هذا يا زهرة ، دعي الأمور تأخذ حقائقها " أجبتها حقائقها قالت نعم ولم تجب بأى شىء أخر .
سمعت صوت أمى يقول " لا يجوز يا زهرة أن نتلهف عليه ، " أجبتها بصوت دفين داخل عمقى بل يجوز فأنا فتاه عاشقه جعلنى فرط الحب عمياء .

تقابلنا فى المطار جميعا والدة فؤاد وفؤاد وأنا بصحبة أمى ، ودعت فؤاد وأخر ما قاله لى " ستظلين بداخلى رغم بعد الأعين ، انطلق فؤاد ، وعزمتنا والدة فؤاد على فنجان من القهوة ، وأثناء جلستنا أكدت والدة فؤاد على أنه لولا الظروف لظل كل شىء على موعده .

بعد عدة أيام زارنا زوج أمى مودعا لى ولجدتى وأعلن لنا عن انتوائه السفر بعد خمسة أيام من الأن ، أسرعت مستفسرة قائلة وأمى ؟ قال ستسافر معى يا زهرة فنحن أزواج ، غادر المنزل زوج أمى بعد تناوله الغذاء ، وجاءت أمى قائلة سأرسالك يا زهرة لا تقلقى وسأعود عندما يعود فؤاد لنعلن خطبيتك أجبتها " عندما يعود فؤاد ، فرضا انه لم يعد يا أمى " أجابتنى " سيرجع " تركتنى أمى شاردة فى غربتى فما أقسى ذلك النوع من الغربة غربة داخلية تتعلق جراء حرماننا مما نحبهم ، سافتقد امى مرة أخرى ، ولا أعرف ماذا سيحل بى فى غيابك " .

قررت أن أتنفس بالحديث مع إلفت فكتب له " هل يمكننى معرفة بعض قصص هؤلاء الفلاسفة ما دمت استشهدت بهم فى تعريف للحب " .
أثناء انتظارى لاجابة إلفت " دخلت موقع الكلية وحملت جدول امتحاناتى وأرسلتها لسارة عبر البريد الالكترونى وكتب لها ، هل تتوقعى أن أظل الأول ككل عام يا سارة ؟" . أجابتى سارة " كونى على ثقه من ذلك فما نعتقده فى مخيلاتنا هو ما يحدث لنا ، وما نتعلق به ونراه بدواخلنا يصبح بعد فترة بالفعل واقع حقيقى نلمسه بأعيننا وحواسنا " أراحتنى رسالة سارة قليلا وقررت أن أبدأ مذاكرة لعلى أصيب هدفى .

جاءت بالفعل إجابة إلفت ليلا قائلا " بالطبع فى جعبتى قصص كثيرة لحب الفلاسفة وسأذكر لكى بعضها على فترات وتلك أول قصة حب فى ذهنى الآن لهم من كتاب كنت قراءته يسمى " فلاسفة عظماء في الفكر أوصلهم الحب والزواج إلى الجنون والانتحاريحكى الكتاب قصة أحد هؤلاء الفلاسفة فيقول " ديدرو أحد أهم فلاسفة التنوير ، والذي اشتهر بكتابته الموسوعة الفلسفية ، له قصته فى الحب. عندما كان شابا صغيرا وقع في غرام شابة فقيرة تعمل كخياطة . لم يجد ديدرو حيلة للتقرب منها إلا أن يدعي أنه بحاجة إلى ملابس جديدة، ولأن الفتاة لم تكن مهتمة بالثقافة ، فلم يستطع ديدرو إلا من خلال سخريته وحس الفكاهة لديه أن يسرق قلبها .

تزوجا بعد مدة ولكن ديدرو الغيور على زوجته الصغيرة الجميلة دفعه لمنعها من العمل على الرغم من أوضاعهم المادية الرديئة . ولكن طبيعية ديدرو البوهيمية بزغت من جديد وراح يبحث عن حب جديد وجده في امرأة أخرى ولكنها تركها بعد أن اكتشف خيانتها له (يقول المؤلف ان هذه المرأة التي نشفت جيوب ديدرو من المال ساهمت بطريقة كبيرة بإلهامه لكتابة مجموعة من أفضل مؤلفاته . لقد خانته مع رجل يملك ثروة أكبر). ولكن ديدرو تعرف بعد ذلك على امرأة تدعى صوفي كتب لها اجمل رسائله في الحب . يقول لها في أحد المقاطع المستعرة :» أنتي تحبيني . ستحبيني دائما . أنا الآن سعيد . لقد عدت للحياة مجددا . أستطيع أن اتحدث وأعمل وألعب و أمشي . أستطيع عمل أي شيء أتمناه . أريد أن أحبك حتى أكثر مما أفعل ، إذا كنت أعرف كيف «. ولكن صوفي ماتت بعد ذلك بشكل مفاجئ وفقط بعد تسعة أشهر سقط ديدرو ميتا بينما كان يأكل العشاء مع عائلته . يقال ان آخر الكلمات التي كتبها كانت : ماذا يمكن أن يفعل لي الألم ؟" .

أجبت بسخرية على حائطى " ليس ديدرو فقط هو من يعشق تعدد النساء حوله ، اعتقد كلما شعر الرجل بامتلاك المرأة كلما ضاعت قيمتها بالنسبة له ولكن ما لفت نظرى كلمة " البوهيمية" أريد أن أتعمق فى تلك الكلمة لو كان ممكنا " .

أغلقت حاسبى وأخذت أرتب حالى وذهنى للمذاكرة لا أعتقد أنى ذاكرت تلك المرة بالتركيز الكامل ، لكم كنت شغوفة بالفت ذلك النوع البشرى المثقف ، لكم أتمنى أن أذهب إلى رحلة بداخل عقله لأعرف كيف يفكر ؟ ومن أين عرف طريقة جذبى بتلك الدرجة .

بعد عدت أيام ودعت أمى بعدما ودعت فؤاد ، أصبحت أدفن مشاعر الوجع بداخلى فأصبحت عاجزة عن الصراخ والبكاء كالسابق ، أصبحت ضمن هؤلاء الذين يداعبون دواخلهم بتناسى أوجاعهم ، أدخل الألم زجاجات مغلقة موضوعه بجانب من نفسى ، وأصمت حتى أصبحت لا أتحدث إلا قليلا ، ويبدو أن وسيلتى للحديث أصبحت الشاشات الالكترونية لذلك فالفت أخذ النصيب الأكبر من حديثى .

دخلت نحو حاسبى لأتفحص صندوق الرسائل لأجد رسالة عن معنى البوهيمية فيقول إلفت " البوهيمي أساسا هو أحد مواطني منطقة بوهيميا التشيكية إلا أن المصطلح انتشر بمعنى آخر في فرنسا أولا في القرن التاسع عشر الميلادي، حيث أصبح يدل على أي كاتب أو فنان يميل إلى اتخاذ سلوك أو العيش بنمط حياتي غير مألوف، سواء كان هذا سلوكا واعيا أو غير واعيا منه " .

كم أصبحت أخشى أن أمارس أى شىء غير تلقيدى فى حياتى ، كم ذكرنى حديث " إلفت" بتلك العبارة التى كنت أرددها على مسامعك يا فؤاد كنت أقول لك " هؤلاءالعبثيون لدرجة الغثيان ، أريد أن أتوجه إليكم بخالص احترامى ، أنتم تمتلكون شجاعة العبث المطلق ، وأنا لا أملك شجاعة العبث المقنن " كنت تجيبنى يا فؤاد بأنك لا تحب لغتى تلك التى تنتمى للحرية المطلقة ، وكنت أجيبك بأن كل ما أفعله مجرد تفكير ، فأنا ضمن هؤلاء الأغبياء الذين يمارسون عادات المجتمع بحرفية وإن كانت خاطئة ، أنا ضمن هؤلاء الذين يتقنون إخفاء ما يريدنه فى سبيل تجنب نقد المجتمع لهم ، كنت تجيبنى بعصبية قائلا " مجرد تفكيرك هذا خطيئة ، كنت أجيبك بصمتى ، لانى لو تحدثت كنت غالبا سأخسرك وانى امرأة لا تقوى على خسران حبيبها ، كم تمنيت أن أقول لك الخطيئة فى عدم التفكير وليس فى التفكير يا فؤاد ، ولكنها أمنية موجوده

بالقوة فهى ليست فى حيز التنفيذ ." اعترف أنك غلبتنى بحبك درجة أنى استحسنت فيك القبيح ورأيت شرك خير " ألا تعلم يا فؤاد أنى أصبحت أرى أفكارك خير رغم تناقضها مع عمقى .

حاولت الإتصال بك كثيرا فى الأيام الماضية ، وكنت غير متاحا كعاتك فى الفترة الأخيرة ، كنت أقول لك دوما أريد أن أموت شوقا ولا أحيا مللا كما قال جبران ، وها أنت تنفذ مقولتى فتميتنى كل ليلة شوقا إليك ، آملة فى وصلك .

لا أعلم لماذا جاء فى خاطرى لقاءى الأول بوالد فؤاد ، ربما لأنى شعرت بحنانه أكثر من حنان فؤاد الآن ، ففى تلك المرة التى كنت أصطحب فؤاد إلى مطعم يقدم الوجبات السورية وكنت أحدثه عن تلك الأطعمة وكان فؤاد يستمع إلى وهو ناظر إلى " هل تعلم أن المطبخ السورى عريق ومتنوع وما يميزه تلك الأكلات التراثية القديمة المتجددة و الأصيلة " . هنا قاطعنى فؤاد قائلا " إذا صممت على المجيء إلى ذلك المطعم لما فيه من تراث أيضا ؟ " ثم أكمل حديثه فى حدة قائلا " متى تكف عن حبك للأشياء القديمة يا زهرة " . قبل أن أجيب فؤاد اقترب رجل كبير فى السن وجلس بجوارى ولم يتحدث فؤاد ، ثم بدأ الرجل فى الحديث قائلا " لا تكف يا ابنتى عن حبك للتراث ، فمن يتنصل عن التراث لا مستقبل له ، ولكن أنصحك أن توازنى بين القديم والحديث حتى تواكبى ظروف عصرك " ، كم كانت تلك النصيحة الهادئة سكن روحى ، فنادرا ما نجد ذلك الأسلوب فى الإرشاد ، هنا سكن صوت الرجل وبدأت أنفاسى تهدأ ، دخل صوت فؤاد معلنا " هذا والدى يا زهرة " ابتسمت وابتلعت ريقى قائلة " حياك الله يا عمى " . أجابنى مبتسما " وحيا هذا العقل المحب للتراث ، ولكن كيف أقنعتى فؤاد إلى المجيء إلى هنا فهو لا ينتمى إلى الأشياء القديمة بالكلية " ، هنا احمر وجهى وأجبته " لم أخبره قبل المجيء أنه مطعم مهتم بالتراث " . هنا جاء أصدقاء والد فؤاد فاستأذن وذهب معهم . وجاء صوت فؤاد قاطعا توترى " تعارف لم يكن على الخاطر " .استرددت قوتى قائلة " إنه لا يشبهك فهو حكيم ، نظراته ثاقبة متزنة " ، ضحك فؤاد قائلا " وأنا من أعلم الحكمة " . أجبته بضحكة ساخرة " مغرور " ، أخذ فؤاد حديثى بمزاح ، لكن كان داخلى ينطق بالصدق ، لا أعرف لماذا أحسست بذلك الغرور من جملته الأخيرة تلك . أجابنى قائلا " إنها الثقة وليس الغرور " . ربما أنت تسمى الآن ابتعادك عنى ثقة فى حبى لك ، ولكن التسمية بالنسبة لى مختلفة أسميها أنا غرور ، فأنت لا تعرف أن الإنسان عندما ينوى البعد يبعد فتصبح الثقة التى تؤمن بها إنقلابا عليك ، كل هذا الحديث حديثى العقلى ، أما حديثى القلبى أعلم أنى لن أقوى على البعد اللعين هذا .

انهيت من امتحانات الفصل الثانى فى ظل عدم اقترابى من أى مواقع الكترونية ، ظللت اكرس كل جهدى فى المذاكرة كأنها مخدر من التفكير في فؤاد ، تناسيت أمر إلفت لما شعرت به من خطورة على نسبة تحصيلى الدراسى فلم اقترب من الصندوق الذى كان يضع لى فيه الرسائل ، لم أقترب الا بعدما انتهيت امتحانات الفصل وأثناء عودتى تفحصت الصندوق وجدت رسالة موجه إلى من إلفت يقول نصها " لم أرسل لكى أى رسائل طوال الفترة السابقة لعلمى أنك تمرى بمرحلة امتحانية مهمة فى حياتك ، تحياتى اليك " .
هكذا يا إلفت علمت أنك تعلم عنى كل شيء ولا أعرف عنك سوى ما تبوح لى به .

لا أستطيع إجابتك الآن يا إلفت ،هكذا تمددت على سريرى وتلحفت بذكريات فؤاد معى ، تذكرت ذلك اليوم الذى أهدانى فيه ذلك القلم الموضوع بجوارى وكتب لى معه " الأقلام وسيلة من وسائل متعددة تتيح لنا التعبير عما فى دواخلنا لنريحها قليلا ." أعجبنى رسالتك يا فؤاد وأعجبنى تعبيرك لى بأن بدواخلى غربة مغلفة بالوجع أريد أن أخرجها ، أتذكرأنى لم أكتب بهذا القلم حتى

الآن سوى إسمك ، لم أكتب به سوى حروفك " ف ــ ؤ-ا-د " أربعة أحرف يا فؤاد ، وحرمت على ذلك القلم جميع الحروف سوى حروف اسمك .
أصبحت ذكرياتك بديلة عن وصلك " متى تصل وتفى بوعدك لى يا فؤاد ؟" .

فى صباح يوم الخميس اتصلت بى سارة وأخبرتنى أن النتيجة ستظهر الليلة ، اجبتها هل يمكننى أن تأتى كى نراها سويا ، أجابتى سارة بعدم قدرتها على الخروج اليوم فمحمد قادم اليها ، أجبتها " ان عرفتى شىء اخر عن النتيجة أرجوك حدثينى بسرعة أجابتنى بالطبع هذا ما سأفعله " أغلقت سارة الهاتف وقد اقترب منى الملل ، لا أعرف كيف أملأ ساعاتى القادمة قد مللت من كل شىء ، الأشياء أصبحت تقليدية ومتشابهة بطريقة غريبة . لأمارس لعبتى المفضلة سأراسل إلفت كتب إلى إلفت " كيف يمكنك أن تكسر الملل إن شعرت به يوما ؟ " عبثت بالمجلات الإلكترونية وبدأت ألتقط الأخبار العابرة " إلا أن جاءنى رد إلفت القائل " بالسفر ، وخير الأسفار هو السفر نحو عمقك " . أغلقت حاسبى وبدأت أفكر فى عبارة إلفت ولكن هذا كله لم يمنعى من التفكير بنتيجة الفصل الدراسى ، قمت بفتح الحاسب ثانية وفتحت موقع الكلية لأحملق فى الكلمة المعهودة " قريبا ستظهر النتيجة " . غفوت مكانى على الكرسى وأنا جالسة أمام الحاسب .

فزعت من صوت هاتفى انها سارة أجابتها " هل ظهرت النتيجة يا سارة ؟" أجابتنى نعم قد نجحتى يا زهرة وأنت محتفظة بترتيبك ، مبروك يا دكتورة " أجبتها وأنتى يا سارة قالت لى نجحت بدرجت جيد جدا " هلل الهاتف من فرحتنا معنا ، وجاءت جدتى على صوتى الممزوج بالفرح ، قائلة " خير يا زهرة ، أجبتها نجحت بالترتيب الأول يا جدتى " . أجابتنى جدتى " إن بعد العسر يسر ، ألف مبروك يا زهرة " .

حاولت الإتصال بأمى لتشاركنى فرحتى إلا أن العم وسيم هو من أجاب اتصالى قائلا " أهلا زهرة ، والدتك غير موجودة الآن " أجبته " هل يمكنك ابلاغها أنى قمت بمهاتفتها وأنى أريدها فى أمر هام " . أجابنى بالموافقه على طلبى وانقطع الإتصال ربما هناك عطل أو ما شابه ذلك .

فى مساء يوم الثلاثاء اتصلت سارة واتفقنا على الذهاب للجامعة ، كى نرتب أوراق التخرج وأعرف أنا إجراءات التعين . وبالفعل ذهبنا صباحا إلى الجامعة ودخلنا للمسؤلين عن استخراج الأوراق وقمنا بعمل طلبات لاستخراج شهادات التخرج .
دخلت غرفة الأساتذة فى فرحة لأتسائل عن اجراءات التعين ، أجابنى رئيس القسم ، سوف تجتمع اللجنة يا زهرة لإقرار هل نريد معيدين لهذا العام أم لا ؟" دهشت عندما سمعت تلك الإجابة مجيبة " أعتقد أن اللجنة قد اجتمعت من قبل وأعلنت عن احتياج لمعيدين فعلا " . ابتسم رئيس القسم قائلا " لا تقلقى انتظرى اسبوعين ثم سنعلن عن ما نحن بحاجه إليه " . خرجت من الحجرة بوجه أحمر مدهش ، من كثرة الأسئلة التى تدور دخل عقل شعرت أنه عطل عن التفكير . قابلتنى سارة ببهجة " ما الإجراءات الآن أجبتها بما حدث " . تنفست سارة قائلة إنه الروتين الذى يتعلق بمجتمعنا تعلق الإبن بعنق والدته . تنفست الضيق الذى بداخلى ثم أجبتها " ولمتى سنظل أسرى لذلك الروتين المتعفن ؟ ألا يوجد طريقة لجعل هذا الروتين محببا لأنفسنا ومفيد لها أيضا ، ألا يمكننا استئصال هذا الورم القابع بداخل مجتمعنا " .

دخلت المنزل لا شهية لى لأى شيء سوى أن أجد من يحدثى عن حلول لإستخدام الروتين بطريقة صحيحة لمجتمع قارب على الانتحار بسبب ما يتعرض له من مسببات لقتل الطموح بداخله .

دخلت لحائطى الفيسبوكى وكتبت " ما رأيكم فى الروتين الحكومى ؟ وما هى الحلول القادرة على أن يجعنا ذلك الروتين نتنفس بدلا من خنقه لطموحاتنا ؟ "
دخلت جدتى وأنا بهذه الحالة أسرعت بسؤالى لها قبل أن تتحدث " هل اتصلت أمى اليوم يا جدتى " . أجابتنى والقلق يبدو على وجهها " لا ، لم تتصل كنت أريد أن أسألك نفس السؤال ، لكن لا تقلقى لعل لديها عمل ." طلبت منى جدتى أن اتناول معها مشروب البرتقال أجبتها بالموافقة ثم بدأت حديث يتعلق بفؤاد" لم يتصل فؤاد منذ أن سافر يا جدتى " . أجابتنى " قد يكون لديه عذره فلنصبر " . ثم حدثتها عما حدث فى الجامعة أجبتنى بضيق " متى نتخلص من تلك الأمراض المجتمعية ؟" . أجبتها " ربما عندما نكتشف أمراضنا ويشعور الجميع بها ،" .
قالت لى جدتى أنها ستستريح قليلا ، ابتسمت لها ودخلت غرفتى ثانية ، ووجدت ردود على اخر منشور لى فأول رد يقول " الحل هو أن نتجنس بجنسيات اخرى ولا نفكر أن نعود إلى تلك البلد إلا بعد أن يتفهم الموظفون تلبية احتياجات المواطنون بسلاسة " ورد اخر يقول " لا فكاك من الروتين الحكومى إلا إذا اعدنا ترتيب ثقافتنا من الجذور فلنبقى على ما هو خير لنا ، ولنستبعد ما هو شر لنا " وجاء رسالة إلفت تقول " رأيى فى الروتين الحكومى أنه حائط فى وجه أمنيات المواطنون والحل أن نقيم عليه الحد بالغائه وتوفير وسائل أخرى بديلة عنه فنحن فى عصر الالكترونيات " .
مرت مدة انتظارى للروتين الحكومى كبطء السلحفاء ، ذهبت الجامعة فى اليوم المحدد لأسأل عن النتائج وجاءنى الرد " للأسف نحن لا نريد معيدين لتلك السنة ، " ذهلت وأجابت بهدوء مغرر بالدموع " كيف ؟" أخذتنى معيدة حديثة التعين وقالت لى " علمت أن اللجنة قالت المظهر من شروط التعين ومظهرك يا زهرة كما قالوا غير لائق " . أجبتها غير لائق كيف ؟ " نظرت إلى يدى وصمت ، تركتها والدموع تنهمر من عينى ، والتحقت بسيارة أجرة حتى أصل إلى المنزل وأنا لا أرى أحد من كثرة البكاء ، كأنى المعتوهة فى وسط البشر " . دخلت المنزل وقد فزعت جدتى من منظرى قائلة " ماذا بكى أجيبينى " أجبتها بصوت مخنوق " المعاقين ليس لهم حق الطموح فى ذلك المجتمع لن أعين فى الجامعة بسبب مظهرى ، فمظهرى يأتى بالاشمئزاز " جعلت أبكى وأبكى وتقرأ لى جدتى بعض الأيات كى أهدأ ، نمت والدمع فى عينى ، نمت بواسطة أقراص المنوم التى أصبحت كلما انهرت أهرول إليها لتجعلنى أغيب عن الوعى " اه اه اه يا وطنى تركلنى وأحتضنك ، تميتنى وأفكر فى احياءك اه اه اه يا وطنى " .

أصبحت أهرب بالنوم الكثير ، وأصبحت لا أرى أى بهجة فى الحياة سوى ذلك الأمل الكامن فى رجوعك فؤاد . ألا تعلم أن انتظار وصل الحبيب كالانتظار فى غرفة الإعدام ؟ جعلتنى أفضل أن أعدم على أن أنتظر بقلق الانتظار هذا ؟

استقظت من النوم فى يوم قلق لأجد جدتى تقول لى " خطوبة هاجر ابنة عمك غدا وجاءت لتدعونا ووجدتك نائمة ويجب أن نذهب إليها " . أومأت بالموافقة على حديث جدتى لأتخلص من إلحاها إن رفضت . تسألت هل خطوبتها على أحد الأشخاص الذين اعرفهم ، أجابتى لم أسألها من كثرة قلقى على والدتك التى لا نستطيع وصلها .

مر اليوم الذى قبل خطوبة هاجر بملل لم أحاول الاتصال بها ، لأنى كنت أرتب مكانا لوجع عدم قبولى بالجامعة لأجد لها مكانا بجوار زجاجات حزنى القابعة بداخلى . لا أعرف كيف أتجاوز الحزن ولكنى أصبحت متمرسة بالهروب منه ووضه فى خزانة داخل نفسى .

جاء يوم خطوبة هاجر وذهبت مع جدتى مرتدية زى أسود يتناسب مع ما بداخلى من فقد لأشياء كثيرة ، دخلت فى وسط كبير من الأعين ، كنت أبحث عن أى كرسى بعيدا عن الأنظار لأجلس بهدوء دون أى شفقة من أحد ، لولا غضب جدتى لما حضرت هذا الحفل ، وجدت منضدة بعيدة نسبيا عن الزحام ، جلست وجدتى معا ، بدأت الأضواء تنخفض ، وبدأ أغنية هادئة تدعو إلى الرقص الهادىء للعريس والعروسة ، لم تكن رؤيتى لهم جيدة ، ولكن كل ما رأيته هو أن الثنائيات بدأت تقوم للتبادل الرقص لتوصيل معانى الحب فى رقصة هادئة . فى وسط انخفاض الأضواء رأيت والدة فؤاد ، ولكن غالطت نفسى ربما تكون شبيهة بها وليست هى .

تناول المعازيم المشروبات ، ثم دعتنى جدتى لأن نسلم على العروسين والمباركة لهم كى نرجع إلى البيت ، أجبتها تفضلى يا جدتى وأنا سأنتظرك هنا ، أجابتنى لن تأخذ منك المباركة سوى عدة دقائق ، عدة دقائق ستفرحى بها قلب ابنة عمك ، وافقت على طلب جدتى وذهبنا للمباركة سلمت على هاجر وباركت لها ، وجاء دور المباركة على العريس وقع نظرى على فؤاد خرج صوتى قائلا " فؤاد " أجابتنى هاجر قائلة " نعم يا زهرة هذا فؤاد خطيبى يبدو أنك تعرفيه من قبل " لم أجب عليها وشعرت أن العالم كله قطعة من الظلام . أوقفنا تاكسى وأخذت جدتى تقول لى "لعله خير يا ابنتى ، هكذا أراك الله فؤاد واضحا قبل أن تتورطى فيه وتنفصلا فيما بعد " لم أجب بأى كلمة كل ما أفعله أن دموعى منهمرة لا تتوقف . وصلنا البيت وتناولت الهاتف كى أتصل بأمى ، فقالت لى جدتى دعيها للصباح كى لا تقلق طوال الليل استجبت لطلب جدتى وأخذت أبكى بكاء لم أبكه من قبل وأنا أقول " الله أفقدنى جزء من جسدى ، والجميع أفقدنى كل أجزائى " .

أدخلتنى جدتى غرفتى وساعدتنى لألقى بجسدى على الفراش ، ثم غطتنى ، وبدأت تدعو الله أن يخفف ما فى قلبى ، أغمضت عينى كى أوهم جدتى أنى هدأت وغفوت حتى أتركها تستريح وبدأت يا فؤاد تستعمر تفكيرى أبكل تلك البساطة ينتهى كل شىء ، ليتك قلت لى أنك لن تستطع اكمال طريقك معى ، بدلا من أن أتفاجىء بك ملك لغيرى .

أه يا فؤاد لقد تذكرت جميع ذكرياتك معى فى تلك الليلة ، ليتك لم توعدنى بشىء ليتك تركتنى بأحزانى الأولى أحزان غربة أمى فقط ، تذكرت أيامى الأولى معك التى كنت تطلب وصلى وتتسلط على بالكلام كلام لفتاة يحترق قلبها على فراق أمها التى مازلت على قيد الحياة ، وفراق أب اختاره الله لحكمة يعلمها ، عندما فتحت لك تلك المنطقة من حياتى وعدتنى ألا تتركنى وأن تعوضنى عن كل الحنان الذى أشعر بفقده .
وعدتنى بالافراط فى وجودك معى وما أفرطت فيه هو هجرى .

يوما كنت أجلس معك فى محل لتقديم الشروبات الساخنه فقط ، طلبت مشروب القهوة أنت ، وطلبت أنا مشروب الشيوكولاته الذى أفضله ، كنت أنظر إليك بشغف فقلت لى بصوت يملأه الدهشة " لماذ تنظرى إلى هكذا ، ألم ترينى منذ سنين ؟" أجبتك بمزحة تقريبا " . ضحكت بصوت عال حتى أجعلك تنسى تساؤلى ولكن حقيقة تساؤلى أنى كنت أحن إلى تفاصيلك فى كل

وقت حتى أوقات جلوسى معك ، أحببتك بصدق بإيمان بك ، أحببتك كما وعدتنى أن تحبنى وخذلتنى أنت بكل قوة .

كنت تحدثنى فى ليلة من الليالى وسألتك " ما هذا الصوت العالى الذى تسمعه؟" أجابتنى "هى الأغانى الصاخبة التى لا تحبيها" قلت لك ولماذا لا تجعلنى أسمع معك؟" قلت لى بضحكة عالية " لانك لا تحبيها يا زهرتى " أجبتك لا أحبها ولكن أريد أن أسمعها معك اتهمتنى بالجنون ليلتها ولكن نفذت لى ما طلبت منك ،كنت أريد أن أمتزح بداخل جميع ما تحبه يا فؤاد ، أن أتعرف على طبيعة أشياءك المفضلة . فأنت الرجل الذى جعلتنى شغوفة بكل ما حرمته على نفسى مادمت أنت تحبه ، جعلتنى أعشق كل ما كان ممنوع عندى ، جعلتنى أحب ما أكره ما دام مقبول عندك ، أه يا فؤاد لماذا ركلتنى بكل تلك القسوة .

طلبت منى يوما أن أسهر معك لأبعد من الساعه الواحدة مساءا فأجبتك بعدم قدرتى على البقاء معك لهذا الوقت ، أنا لا أتأخر عن جدتى لأكثر من الساعة العاشرة مساءا وذلك عندما يكون هناك ظروفا قهرية لهذا أجبتنى يومها بوجه عابس " أنتى لا تحبينى " قد اتهمتنى بعدم حبى لك ونزل على هذا الاتهام نزول السكين على القلب ،أجبتك " فعلا أنا لا أحبك فقط أنا مريضة بك ، قل لى ما هو علاجك يا فؤاد ، هل هماك طريق للشفاء منك " أجبتنى قائلا " أنتى تمارسى تهدئتى بسهولة جدا " .

كل ذكرياتك تأمرت على اليوم فتضع الوقود على قلبى ليلتهب قلبى أكثر وأكثر .

تذكرت ذلك اليوم الذى جعلت تنظر إلى فى المحاضرة درجة أن البعض لاحظ هذا فأرسلت لك على هاتفك " من فضلك انتبه إلى المحاضرة ، سينكشف أمررنا يا دكتور بطريقتك تلك " شعرت أنت باضاءة هاتفك ففتحت الرسالة وقراءتها وابتسمت واستأذنت للحظات خرجت فيها خارج القاعة لترسل قائلا " لا أهيب أن يعرف أحدا أنى أحبك ، أريد أن أعلن حبك فى أرجاء الكون كله لاطفىء ما بى من لهيب تجاهك " . دخلت بعدها وأبعدت نظرك عنى كى تستطع اكمال المحاضرة وظل عقلك عالقا بى يومها ، من أين لى أن أطفىء النار المتأججة بين ضلوعى الآن ؟ يا الهى قلب قلبى لكى أنسى ما فى فؤادى من لوعة . لقد أسكرت قلبى يا فؤاد فلم يميز عقلى بين صدقك وكذبك ، كنت تؤمن بروحى أكثر من أى شىء كما كنت توهمنى بكلماتك المزيفة .

يوما اتصلت بى فى الخامسة صباحا أجبتك بقلب مزعور قائلة " خير ماذا حدث يا فؤاد ؟" "أجبتنى خير لقد حلمت بك ولم أستطع أن أنتظر عندما أقابلك بالجامعة واتصلت لأخبرك ". قلت لك " حلم تفزعنى به من نومى ، ويا ترا ما هو ذلك الحلم الذى لا ينظر إلى أن يظهر نور الله ؟ " أجبتنى هو حلم يدل أنك لن توفى بعهد حبك لى " قلت لك " يا الله ، وما ذلك الحلم الذى جعلنى ناقضة عهود هذا ؟ أجبتى حلمت أننى أطلب منك كتابا وأنتى ترفضى ". أجبتك " هل أنت تمتلك درجة حرارة عالية الآن " أجبتنى باختناق " أنا لا أمزح الآن " أنتى لم تقبلى الكتاب لماذا ؟ قلت لك " انه مجرد حلم ، وأعتقد أنه حلم عبثى لا أكثر ولا أقل " تسالت بالحاح " أيمكن أن تنقضى عهد الحب " أجبت بقسم غليظ " بأنى لست من لديها الشجاعه لفعل تلك الفعلة البائسة " قلت لى فى ضجر " اذا لو لديك الشجاعه ستفعلى " أجبتك بنفاذ صبر " لا لن أفعل فأنا امرأة عاشقة " . هدأت يومها وأغلقت معى بعد أن وعدتك أن لا أتركك مهما حدث .

الآن فهمت تفسير حلمك فأنت يا فؤاد من هجر عكس ما حلمت به أنت . لو أستطيع لسألتك يوم حفل خطوبة " عن القطعة التى بين أضلاعك أهى قطعة من لحم أم قطعة من حجر " .

إن رجائى أصبح فى أن تصبح معرفتك عدما يا فؤاد ، أريد أن أبنى جسور للنسيان ، فهل يقوى قلبى على ذلك ليتنى أستطيع اطاعة عقلى وعصيان قلبى ، أعتقد أن جوفك لم يمنح من الوفاء شيئا ، الجفاء جعل منك رجل بلا رحمة . لم تحفظ عهدى يا فؤاد ولم يزدك مرضى إلا غدرا ، أعترف أننا أحياء فقط عندما ننسى .

دخلت جدتى فى الصباح وجدت جفونى جمرة حمراء فقالت لى " أسوأ ما يمكن أن نرى أنفسنا من خلال شخصيات أخرى ، تحررى يا زهرة من حب فؤاد لتكملى حياتك ، أعلم أنه صعب ولكن أعلم أنك قوية ويمكنك أن تتجاوزى شخص تجاوزك بكثير " . أجبتها " انى أحبه " كى تمنع جدتى عنى التفكير قالت لى " هيا نتتصل بوالدتك " أجبتها ليتها تجيب أريدها أن تمنحنى بعض أنفاسها لأحيا قليلا " . أمسكت الهاتف ولكن جرس بدون إجابة " إزداد قلقى على أمى وازاد قلق جدتى عليها .

جاءت سارة لكى تطمن على يبدو أن جدتى هاتفتها وقصت لها ما حدث وكان كلامى قليل جدا ، فلم أعد لدى أى رغبة فى الحديث لأحد ، أصبحت فاقدة لشهية الحديث ، حاولت سارة بكل قوتها أن تخرجنى مما أنا فيه ، ولكن كان ما بداخلى كثيرا لا تستطيع يد واحدة محوه بمجرد كلمات متناسقة .

بعد خروج سارة اتصلت بأمى مرة أخرى وأجابنى العم وسيم وجاء حديثه الموجع
- مرحبا بالعم وسيم
- مرحبا من معى
- زهرة تحدثك
- نعم هل تريدى شيئا
- لو تفضلت أريد أن أحدث أمى
هنا جاءت جدتى بجوارى عندما وجدت الحوار يسير على ما لا يرام
جاءنى صوت العم وسيم يقول / والدتك ليست هنا ورجاءا لا تزعجينا ثانية ، أمك متزوجة وليس لدينا فراغ لديك . ثم أغلق الهاتف
سمعت تلك الكلمات ولم أدرى بنفسى إلا وأنا ساقطة على الأرض .
هكذا كانت تلك العبارة بمثابة القشة التى أدخلتنى المستشفى لتلقى العلاج النفسى هناك ، فلقد أصبحت رائحة الحياة بالنسبة لى كريهة أترقب الموت ، اترقب انتهاء تلك الحياة التى لا صاحب لى فيها ولا حبيب سوى كبواتى وصدماتى ، فقدت لذة كل شىء ، الكلام ، الضحك ، الطموح ، أصبح شغفى بجميع الأشياء باهت .

رحلتى بالمستشفى

لقد اكتفيت من الحياة درجة أننى لم يعد لدى رغبة بأى شىء ، لم أعد أحن إلى تفاصيلها ، كل ما يهمنى هو أن أتخلص منها اقتنائى لها بأى طريقة ، زجاجات الألم المخزنة بداخلى انسكبت بسبب تلك الكلمات ، ولم أشعر بذاتى إلا أثناء عمل فحوصات طبية لعدم قدرتى على الكلام وعدم إجابتى لأى سؤال من الأسئلة الموجهة لى ، انتهى الأمر باستدعاء جدتى لابن عمى شمس ، ليقرر شمس دخولى المستشفى الذى يعمل بها لأتلقى العلاج هناك وأكون تحت رعايته ، أقصد تحت رعاية طبيب نفسى .

استيقظ كل صباح لأجد جدتى التى لا تكف عن الحديث إلى بكلمات الحث على القوة وتخطى الصعاب ، وبعدها أتلقى الكلمات المرحة من صديقتى سارة ومحمد خطيبها بغرض إخراجى مما أنا فيه ، الأصعب أننى لم أعد أرى أية بهجة فى أى حديث ، فجميع لغات العالم أصبحت من ضمن تعاساتى .

دخل شمس ليعطينى الأدوية المضادة لحالة الإكتئاب التى تصحابنى تلك الفترة ، أبتلع كل يوم كم من الأودية ومازلت كما أنا أفتقد كل شىء ، محرومة من أمى ومن فؤاد ومن طموحى ومن كونى مواطنة لها كل حقوق المواطنة ، سلب منى كل شىء ولم يعد لى أى شىء ولم أعد اتمنى أى شىء ولا حتى شفائى .

فى يوم ، دخل لى شمس وقال لى " هيا نمارس الألعاب الرياضية باكرا مع أول انبثاق لأشعة الشمس " ، أشحت بوجهى مبتعدة عنده ، لأدخل فى فراشى وأمارس هروبى المفضل بالنوم ، أى رياضة تلك التى يريدنى ممارستها ، أنا امراة مفتقدة لنفسها فلم يعد يهمها شىء ولا حتى الحياة نفسها .

كتب لى شمس يوما على ورقة كبيرة إن لم تتناولى الطعام فلن أتناوله مثلك ووضع الطعام وجلس أمامه ، أمتخيل أنت يا شمس أننى سأتناول الطعام من أجل اشباع رغبة رجل ، كل ما فعلته يومها أنى انتهزت فرصة خروجك لإجابة أحد الأطباء بأننى أخذت تلك السكينة الموجودة بجوار الطعام وأخفيتها تحت وسادتى ولا أعرف لماذا فعلت ذلك .
لم تلحظ أنت السكينة المختفية بقدر ما لاحظت أننى لم أتناول أى شىء ، خرجت وأنت تقول لى " الحياة بها ما نعيش من أجله يا زهرة " . أجبتك فى دخلى " لا أحب تلك الكلمات المزينة ، إن كنت ترى شىء يمكننى أعيش من أجله فأره لى ، برغم أننى مدركة أننى لم أعد ولن أقدر على رؤية أية جمال فى أى شىء بعد الآن .

أصبحت كل ما أمارسه فى يومى هو التقىء ليل نهار ، ربما أحاول أن أتقىء أوجاعى ولكن هيهات فكل ما أتقىء هى تلك المحاليل الداخلة على جسدى ، المحاليل التى جعلها الأطباء بدلا عن طعامى ، أتقىء الأدوية وأتقىء قاع قلبى ولم أستطيع يوما أن أتقىء قاع جروحى ولا حتى سطحها .

ذات ليلة ، وعندما غفوت جدتى وخرج شمس الماكث بجوارى أغلب الوقت منذ دخولى تلك المستشفى حوطتنى كل ذكرياتى المفجعة ، وجدت يدى تدخل نحت وسادتى لتخرج تلك السيكينة

التى أخفيتها من شمس ، وضعتها على وجهى أتلذذ بملمسها البارد وبدأت أقربها من فهمى ، داخلة نحو لسانى ، ويدور فى خلدى لماذا على أن أبقى بداخل حياة فقدت رونق ملامحها بالكلية ، لم أشعر سوى بالسكينة وهى تنزل ببطء على رقبتى مفكرة بلذة فقد تلك الحياة ، جعلت السكينة تلامس كل أجزائى لم أجد مكان أفضل من عنقى لقطعه ، أغمضت عينى وبدأت أتلذذ بجرح رقبتى شيئا فشيء حتى قطعتها بقوة مع صرخة شديدة .
صرخت جدتى عندما رأت الدم الخارج من أنحاء رقبتى ودخل شمس فى فزع وبدأ يصرخ " زهرة زهرة ، احضروا غرفة العمليات " لم أسمع ولم أرى أى شيء بعدها .

بعد فترة لم أعرف كم استغرقت بدأت أفتح عينى وأتوجع أحاول ملامسة عنقى المقيد ببواسطة الأربطة التى تخنقه . وبدأت أرى العيون التى تترقبنى سامعة جدتى تقول لوالدة سارة " والدة زهرة أبرحها زوجها ضربا حتى قتل الجنين الذى فى رحمها " . بعد سماعى تلك الكلمات لاحظت سارة افاقتى فهزت كتف شمس تقول له " لقد أفاقت زهرة " . قام الجميع لمسائلتى عن شعورى " هل أنتى بخير ، هل هناك شيء يؤلمك " . تلك الأسئلة الباهتة التى لم أعد أرى أية جمال بها ، أشعر وأنها أسئلة معتادة باهتة ، أصبحت كريهة لى . جاء سؤال شمس " أخفيتى السكينة متخذة ردى على الطبيب فرصة لذلك ، لتبتعدى عنا يا زهرة ، أنا لا أصدق ما فعلتى " . لم أجب على أى سؤال من تلك الأسئلة سوى أنى أغمضت عينى بتكلف حتى يصمت الجميع عن توجيه أية أسئلة لى .

رأسى يعج بحديث وكلمات " رجل يدوس على قلبى ويميته ، ورجل يقتل أخى المنتظر ، اللعنة ، الجحيم لهؤلاء " .
فى يوم دخل شمس وقال لى كان هناك اثنين من المرضى يتعالجان هنا وقد عافهما الله يا زهرة ويوم الخميس القادم سيعلنا عن خطوبتهما هنا بداخل المستشفى ، فرحة منهم لشفائهما ، وتعبيرا عن عدم نسايانهم أنهم كانوا ينتموا لهذا المكان فى فترة من حياتهم ، وليعلنوا للعالم كله أن المرض النفسى شيء طبيعى يمكن أن يتعرض له أى إنسان ويتعافى منه بسهولة جدا ، كل ما أود أن تفهميه يا زهرة " أن عليكى أن تعترفى بداخلك أن مصابة بوكعة من السهل الخروج منها بارداتك قبل كل شيء ". وانتهى حديثه " هل ستحضرى اعلان الخطوبة يا زهرة . أخرجت القلم من جيبه ومسكت روشة من روشتاته وكتبت كلمة واحدة " سأحضر " .

جاء يوم الخميس وعلقت البلونات بساحة المستشفى ، ونظم المكان كأنه قاعة لتلك المناسبات ، ارتديت اول ملابس قابلتنى فى خزانتى لا أدرى ما لونها وما شكلها ، جاءت سارة ومحمد وشمس لمرافقتى كى أنزل إلى الحفل نزلت معهم وجلست على كرسى بجوار شمس وبدأت أنظر إلى الألات الموجودة على طاولة الطعام " ملاعق ، شوك ، سكاكين " تثبت نظرى على السكاكين الموجوة وبدأت أفكر كيف سأقتنى واحدة منهم .

بدأت اتلفت حولى فهمس شمس بأذنى قائلا " هل تريدى شيء " أومأت برأسى دليل على أنى أريد قول شيء " قال لى " تحدثى يا زهرة ، كونى قوية وتحدثى " لم أجبه " قال سأحضر لك ورقة وقلما حالا : ذهب شمس لاحضار الورقة والقلم ، وكانت سارة ومحمد مشغولين مع بعضهم ناظرين إلى أعين بعضهما البعض ، تسللت ببطء نحو طاولة الطعام أخذة سكينة بسرعة شديدة وقمت بدسها داخل ملابسى ورجعت إلى مكانى وجلست وكأن شيء لم يكن ، جاء شمس قائلا " اكتبى ما تريدى يا زهرة " كتبت عندما يأتى العروسان سأذهب للمباركة لهما وحدى حتى أتمكن من أخذ الثقة فى نفسى " قال لى لا مانع وسأتى معك للمباركة لهم معك ايضا "

أجبته " بمفردى أريد أن أطرد المرض من داخلى وأتصرف وكأنى بخير " أجابنى " لكى أطمئن سأتى معك " لم اكتب وأبعدت عينى عنه بعض " أمسك هو الورقه والقلم وكتب " موافق لا تغضبى " وجه الورقة نحو عينى كى أقرأها مسكتها وكتبت له " حسنا " .

جاء العروسان فى وسط الموسيقى والتصفيق ، رأيت فى ذلك العريس وجع فؤاد لى ، ورأيت فى العروسة حرقة قلبى من ذلك الحب الزائف ، بعد فترة وجدت هدوء من المباركين ، هممت من مكانى للذهاب إليهم ، قام شمس أيضا " أشرت إلى كلمة بمفردى قلق شمس من اصرارى على الذهاب بمفردى ولكنه تركنى بجسده ولم يتركنى بنظره ، وقف امامهم وطوقت يدى بيد العروسه ثم ذهبت نحو العريس واقفه أمامه وهو يمد يده إلى أخرجت السكينة بقوة مندفعة نحوه بشدة وقبل أن أضع السكينة فى قلبه جاء شمس من خلفى وقيدنى وأخذ السكينة من يدى بعدما أصبحت رائحته برائحة دم يد العريس ، لم أتمكن من غرز السكينة فى قلبه ،ولكننى تمكنت من اسالة دم رجل يمثل لى فؤاد .

أدخلت على غرفة الصدمات الكهربائية وبدأ الأطباء يخنقونى بوضع الأدوية بالقوة داخل حلقى وأعتقد أن من ضمن تلك الأقراص أقراص منومة لأننى لم أشعر بنفسى بعدها .
توالت الأيام وتوالى العلاج وكل شىء كما هو، مغتربة أنا بتلك الحياة ، كانت الحراسة مشددة على غرفتى وعلى مقتنياتى ، أصبحت فى سجن فوق سجنى .

فى يوم دخل عمى (والد شمس)وأنا على تلك الحالة (يحاوط عينى السواد وبداخلى دم متحجر وصار جسدى نحيلا) قال لى عمى " فعلا هذا هو الوقت المناسب ، لم أفهم ما قال ولم ألتفت إليه ، لكنه أكمل حديثه قائلا (إن شعرت بأن حياة زهرة فى كبوة أعطها هذا الصندوق ، وها أنا يا زهرة أعطيك ما أوصانى به والدك)، هنا كأني وجدت راحتي أخذت أتحسس الصندوق ، أشم رائحة أبى فيه ، خرج الجميع جعلونى وحدى مع أنفاس أبى المتمثلة في الصندوق ، فتحت الصندوق وكأن أفتحه لأحدث أبى أول ما وجدت به " سلسة ذهبية مكتوب عليها زهرة الجميلة ، علقت السلسة فى رقبتى ، لا أعرف لماذا ربما لإحتياجى لأمان والدى القديم ، بعد السلسلة وجدت صور كثيرة لى مع أبى وسط شروق وغروب الشمس ، وسط انشاغلى برؤية الصور التقيت بورقة مكتوب عليها " التقى بعمقك الفطرى ستنسى الماضي " هكذا انتشلتنى رسالة أبى من واقعى المؤلم بتدرج ، ما لاحظته أنه مكتوب على جميع الصور من الخلف ، ارجعي يا زهرة إلى ذالك الصندوق كلما ضاقت بك نفسك " .

فى صباح يوم : طرق باب الغرفة وجدت أمى واقفة على الباب بعين متورمة وجسد منهار ، دخلت مهرولة نحوى معانقة لى بشدة منهمرة داخل البكاء انهارت هى فى بكائها وانهرت أنا بسكب أوجاعى من خلال تبادل البكاء بين ضلوعها ناطقة لأول مرة منذ شهور " أه ، أه ، أه " .

بدأت أمى تهدأنى ، وتجلب لى الأطعمة وتحلفنى بكل غال أن أتناول ولو القليل حتى بدأت حالتى تهدأ عندما شعرت بأن غربتى تجاه أمى بدأت تزول رويدا رويدا ، ذات يوم قالت لى أمى ألن تتحدثى إلى يا زهرة أريد أن أسمعك كثيرا ، أه يا أمى كم كنت أتمنى سماع تلك الكلمات منذ زمن بعيد ، أخذت أمى تبكى من أجعل أن أنطق بكلمة واحدة ، مسحت دمعها ثم أشرت على عينها المتورمة قائلة بصعوبة " ما هذا ؟" فرحت أمى لنطقى وجعلت تردد " زهرة ابنتى أنتى بخير حقا " . ابتسمت لها مشيرة مرة أخرى " ما هذا ؟" أجابتنى بأننى عندما أصبح بخير تام

ستحكى لى " أجبتها " صدقينى يا أمى لن أصبح بخير حتى امتزج بداخلك " أجابتنى بابتسامة مرحة اذا " سوف احضر شمس ليطمئن عليك وبعدها أقص عليك كل شىء .

جاء شمس وبدأ يتفحصنى ويبارك لى على بداية شفائى ، وبدأ كتابة بعض الأدوية الأخرى ليزيد من سرعة شفائى ولتناسب مرحلتى الجديدة ، لقد رحمت مؤخرا من الجلسات الكهربائية ، ورحمت من التفكير بغربة أمى .

جلست أمى بجوارى عندما ألححت عليها بأنى أريد أن أعرف ماذا حدث وبدأت تقص لى " ذهبت مع وسيم إلى بلده وكان يعاملنى برفق ، إلا أن دخل يوما بحقائب لا أعرف ماذا بها وعندما سألته تنصل من الإجابة عن سؤالى قائلا " إنها حقائب العمل " صمت وفى رأسى ألف فكر ، وسيم يعمل محاسبا فى شركة ما دخل تلك الحقيبة الكبيرة بعمله ، انتهزت فرصه غيابه عن المنزل وقمت بفحص الحقيبة واذا بنفسى أفجأ أنى أمام حقيبة من المواد المخدرة ، انهرت ودخلت فى نوبة بكاء إلا أن دخل ووجد الحقيبة مفتوحة أمامى ، فأخذ يركلنى فى احشائى حتى قتل ابنه الذى تمنيت أن يكون أخا لك " أخذت أمى تبكى وأنا مخفية رأسى بداخل ضلوعها ، أكملى يا أمى حتى تستريحى ، قالت لى " نزل يومها مصطحبا تلك الحقيبة مهددا لى بقتلى إن قمت بالاتصال بأجهزة الشرطة ولم أعرف عنه شىء مدة أسبوعين ، إلا أن علمت أن الأجهزة الأمنية قبضت عليه وبحوزته تلك المواد المخدرة ، وبعدها بعدة أيام علمت أنه قامت بخنق نفسه منتحرا داخل محبسه الانفرادى ، تركت البلاد كى أصلكم بعدما حرم على الاتصال بكم " حاولت أن أهدأ أمى قائلى " لا تتركينى ثانية أرجوك " تلك المرة أجابتنى أمى فى سرعة " لن أفعل ذلك فنحن نمتلك العيش الكريم وكنت مخطئة عندما تركتكم من بداية الزمن " .

أه يا أمى كم أنعشينى عندما قصصتى لى ما لحق بك فى الغربة ، برغم قسوة ما حدث إلا أن حديثك لى جعلنى أشعر بأنى أمتلك أما تصلنى بحديثها ، كم كنت أحتاج ذلك منذ زمن .

كانت جلسات علاجى فى الفترة الأخيرة هى حديثى مع أمى فظلت تجذبنى إليها إلى أن بثثت لها كل ما فى قلبى من وجع نالنى بسبب فؤاد والجامعة وشعورى بالشفقة من المحيطين بسبب فقدى ذراعى .

ذات صباح دخل شمس مداعبا " هل نطمئن عليك الآن " أجبته نعم ولكن لى طلب غير مزعج على الإطلاق " أريد حاسبى وأعدك أنى سأجلس عليه فترة ساعة فقط يوميا ، قبل أن تقول لى إن الجلوس عليه سترهقنى " . ضحك شمس وقال لى موافق يا زهرة على أن تفى بوعدك " ابتسمت له مدللة على وفائى بوعدى .

جلبت لى سارة الحاسب من المنزل وبدأت أتفحصه ، فمنذ كثير لم أدخل عليه ولم أشارك أفكارى مع إلفت لا أعرف إن كنت مازلت على ذاكرته أم أنه قد مل من عدم إجابتى عليه
فقد كتب لى كثيرا عن الروتين الحكومى وعلاجه وعن أفكار الفلاسفه المحبين ولم أجب وأخيرا كتب لى " أعلم أنك فى كبوة وسأظل حتى تعودى تحدثينى سالمة " . كتبت على حائطى " لا أتخيل شخصا يمكن أن ينتظر أحدهم كل تلك الفترة على أمل الوصل " .

لكم اشتقت أن اتعرف عليك يا إلفت فأفكارك متعانقة معى حقا ، ولكنى أخشى أن أقع فى شبابك ، وأنا أنتمى إلى القلوب المنكسرة . انتهت الساعة المقررة لى ولم تجب على يا إلفت أغلقت

الحاسب إلا أن دخل شمس قائلا " ماذا يجذبك بداخل هذا الحاسب " . أجبته ربما شيء لا يوجد فى الواقع أجابنى " أتحبى أن تشاركينى أفكارك يا زهرة كصديق " . قلت له فى مزحة لأختبرك أولا قبل قبولى ذلك " أجابنى وهو يخرج لى لسانه " مغرورة " . قلت له فى ثقة " ما دمت أنتمى إلى الفتيات فيجب أن أكون مغرورة ، فأنا أنتمى إلى الزهريات . " أكملت حديثى قائلة " أتؤمن بالصداقة يا شمس " أجابنى الصداقة هى المضاد الحيوى لبعض الأمراض إن كانت صادقة ،" أه يا شمس فهمت ما يرمى إليه قولك . لكنى أجبتك قائلة " إذا إن رأيت صدقك فى حديثك سأقبلك كصديق ، سأنتظر أن أدخل بعمقك ومن ثم سأجيب عليك " . ضحكت ثم قال " اذا لاذهب الآن لعملى وتأكدى أنى لحوح فى طلبى ولن أتنازل عنه " أجبته قائلة " أأنت من هؤلاء الصامدون أمام ما يريدون " . أجابنى وهو على مقربة من الباب " صدقنى الصمود مغامرة رائعة " .

رجع لى شمس بعد قليل وفى يده الهاتف ويضع احدى اطراف السماعات فى أذنى واخرجتها سريعا وقلت "له ما هذا ؟ استئذن أولا ثم ضحكت قائلة يبدو أننى لن أقبلك كصديق تبا " .. ضحك شمس ثم قال " بالرغم من أننى أحب المرأة ككائن مستقل ، إلا أنه ليس بخاطرك أن تكون صديقتى أم لا ، لنستخدم الديكتاتورية قليلا لا بأس " . نظرت له نظرة دهشة قائلة " ستغير مبدأك اذا ، أأنت من الرجال الذين يعتقدون ما لا يفعلون " . أجابنى شمس بمزحة " أنتى فتاة متعبة " . أجبته " ماذا كنت تريد أن تسمعنى " أجابنى لتكن مفاجأة اسمعى هذا وبدأت أسمع "

يراقصُني يُسمعني.. حينَ
كلماتٍ ليست كالكلمات
ذراعي يأخذني من تحتِ
يزرعني في إحدى الغيمات
عيني والمطرُ الأسودُ في
زخات ..يتساقطُ زخاتٍ
يحملني معهُ.. يحملني
لمساءٍ وردي الشُرفات
في يدهِ كالطفلةِ ..وأنا
كالريشةِ تحملها النسمات
أقمارٍ سبعةً يحملُ لي
بيديهِ وحُزمةً أغنيات
يهديني شمساً.. يهديني
سنونوَّات صيفاً.. وقطيعَ
يخبرني.. أني تحفتهُ
وأساوي آلافَ النجمات
وبأني ...كنزٌ و بأني
لوحات أجملُ ما شاهدَ من
يروي أشياءَ تدوخني
تنسيني المرقصَ والخطوات
تاريخي كلماتٍ تقلبُ
تجعلني امرأةً في لحظات
يبني لي قصراً من وهمٍ
لحظات لا أسكنُ فيهِ سوى

وأعودُ.. أعودُ لطـاولـتي
كلمات لا شيءَ معي.. إلا

تحب المغامرات يا شمس ، وتحب أشعار نزار قبانى يا شمس ، هذا كل ما يهمك يعنى أنى أحب المغامرات وأحب نزار قلت له " ماذا بك ؟" أجبتنى يا شمس بأه " لا شىء ، سأذهب للعمل وسأرجع لك لاحقا .

فتحت حاسبى مدة دقائق لأرى هل أرسل لى شمس شىء ودت رسالة بكلمتين او أكثر يقول إلفت فيها " نعم هناك من ينظر ، فنادرا ما نجد أرواح تشبهنا " . لا أريد أن أقع تحت سيطرة كلماتك الجذابة تلك يا إلفت أخشى من قلبى ربما أنجذب لحديثك لنسيان شخص أخر وهذا صعب جدا ، دخلت نومى أثناء التفكير فى الابتعاد عن إلفت .

فى صباح اليوم التالى جلست للافطار مع والدتى وجدتى وقد أخبرتهم أنى أصبحت بخير ويجب أن أغادر تلك المستشفى فقد مللت ، أجابتى أمى " لنستمر تحت اشراف الطبيب كى نطمئن عليكى " . أجابتها صدقينى أنا أشعر بنفسى وأنا بخير " قالت جدتى " سأسأل شمس عندما يأتى يا زهرة اطمئنى " .

بالفعل عندما دخل شمس لم ينتظر حتى تسأله جدتى عن امكانية خروجى من المستشفى ، وقال وهو ينظر لى " أصبحتى بخير يا زهرة ويمكننى أن أكتب لى خروج على شرط أن أقوم بزيارتك يوميا " أجبته تزورنى بصفتك طبيب نفسى أم بصفتك ابن عمى " أجابنى وهو يضحك " بصفتى ابن عمك وبصفة أخرى لم تذكريها " . دخلت أمى فى الحديث قبل أن أكمل محاورتى معه قائلة " تشرفنا يا شمس فى أى وقت " .

قضية أمل

شعور غريب عندما تجهز أغراضك من مكان وكأنه العازل بينك وبين جدران منزلك ، لأن تصل منزلك برفقة جميع أحبابك ، دخلت المنزل تلك المرة وكأن جدرانه تتلحف بحنان أمى وأنفاسها .

دخلت غرفتى وجاءت من خلفى أمى تلامس وجنتى قائلة " ابدلى ملابسك وقومى بانعاش جسدك بالماء واستريحى قليلا حتى أجهز وجبة الغداء ، وبعدها نستطيع أن نتحدث فى أمور كثيرة .

ها أنا تحت الماء لعل الماء يغسل جوفى حتى يطهره من أثر جروحه ، أفكر فى أن أرفع التماس بقضية تعينى لرئيس الجامعة ، فكيف نترك حقوقنا ؟ الآن لم تصبح القضية قضية انسان ظلم فى الالتحاق بوظيفته ، بل أصبحت قضية انسان لم يتقبله المجتمع كانسان طبيعى ، لن أخجل من الآن بشأن اعاقتى ، بل سأجعلها حافزى للمنادة بحقى ، ولأجعل قضيتى نصب أعينى بأنى ذات حق .

خرجت من تحت الماء متحهة نحو حاسبى انتظر أمى برفقة عبثى على المواقع الالكترونية ، أتفحص لأرى أخر رسالة لإلفت يقول فيها " أشعر أنك قريبة منى درجة الانتظار " . غريبة تلك الرسالة نبرتها تشعرنى أن اثنين يتقربان منى فى نفس اللحظة ، لا أريد أن يقترب منى أحد جروحى مازالت فى مرحلة التطهير .

دخلت أمى وأنا أمشط شعرى ، وفجأة وجدتها تأخذ مكانى فى التمشيط ، كم كنت اتمنى هذا ؟ كما تشعر بالأمان ويد أمك تلامس فروة رأسك يا له من احساس فريد ، لا يمكنه صنعه إلا بواسطة أم .

دامت ثرثرتى مع أمى أيام وأيام نتحدث عن كل شىء ، لم يكن عطشى منفصل عن عطش أمى لى فكلانا كان يتعطش للاخر بحماس ، أثناء حديثنا ذات مرة قالت ما رأيك أن نبحث عن مفهوم الحب الغربى أجابتى تحدثى يا أمى ساستمع لك قالت بل نبحث سويا أجبتها سأريحك ، وفتحت حاسبى وقدمته لها بدأت أمى تدخل على موقع محدد جاء فيه :-

" إن التقاليد والأعراف الاجتماعية السائدة في الغرب بشأن المرأة مختلفة تماماً عنها في الشرق فالغرب قطع أشواطاً متقدمة من التحديث في أنظمته السياسية والاجتماعية بل أصبح منتجاً أساسياً لمعظم العلوم والثقافة والتكنولوجيا والأنظمة السياسية الحديثة.....فالإنسان أصبح غاية وليس وسيلة ووهج الحرية عكس معظم متطلبات وغايات الإنسان الذي خضع لتربية خاصة خلال عشرات من العقود لتكون نهجاً ومسلكاً في حياته العامة. وأصبحت الحرية خطاً أحمراً، لايجوز المساس بها أو التعدي على حدودها المكتسبة.

كما أن الدولة أصبحت الراعي الأساس لتلك الحقوق ومظلة حماية لأفراد المجتمع فهي تحتكم إلى الدستور والقوانين لحماية حقوق المواطنين، وبالمقابل ضعفت

الأواصر بين الأفراد في الأسرة الواحدة وتراجعت الأعراف الاجتماعية والقيم الروحية إلى حدودها الدنيا لصالح مبدأ تحقيق المصالح.
المشاعر والأحاسيس الإنسانية بين الرجل والمرأة ضعف دورها لصالح الغرائز الإنسانية والمصالح الاقتصادية، وإن شذت عن تلك القاعدة فإنها لاتحمل نفس ووهج وفيض العواطف في الشرق. فالشرق مازال يمثل الضمير المستتر للعالم لأن جسده يعيش في الحاضر ويميل بكله إلى الماضي بحيث أصبحت لديه (مناعة مكتسبة!) من التأثيرات السلبية للحداثة لأنه يخضع (في أغلب الأحيان) لمنظومة العاطفة في مجمل حراكه الاجتماعي أكثر من منظومة العقل.
إن مفهوم الحب بما يحمله من مشاعر وأحاسيس في الغرب في الوقت الراهن، لايمكن قياسه بمفهوم الحب في الشرق بالرغم من أن المشاعر والأحاسيس الإنسانية متماثلة لكن يختلف وهجها تبعاً لاختلاف الأنماط الاجتماعية التي فرضتها سُبل التقدم الحضاري!.
لاتشكل المرأة في الغرب محوراً أساسياً لعنصر الجمال والغزل لدى النخبة كما هو الحال في الشرق، وهذا ما يمكن لمسه من خلال العديد من قصائد الغزل والحب ووصف الجمال لدى الشعراء الغربيين الذين غالباً ما يتغزلون بجمال الطبيعة أكثر من تغزلهم بجمال المرأة. لكن يبقى مفهوم الحب الذي يختص بتبادل المشاعر والأحاسيس بين الرجل والمرأة، له بعض الخصوصية عندما تشذ العلاقة عن قواعد الأنماط المكتسبة للحياة الاجتماعية لتعود إلى فطريتها الإنسانية.
يرى ((رونيه أوبير))"أن الحب هو عطاء النفس، ودعوة إلى الحنان عن طريق فياض من الحنان ورغبة في الاغتناء بكل ما نمنحه نحن للمحبوب قبل التفكير بما يمنحننا هو. إن الحب هو شكل من أشكال فضيلة الكرم على كائن واحد لاغير".
إذا كان الحب في الشرق يميل (أكثر!) إلى إذابة الذات في الآخر لتحقيق التواصل الروحي ومنح الآخر كل شيء دون انتظار المقابل لأن العاطفة لاتحتمل تبادل المصالح. لكنها في وجها الآخر، تنتظر المشاعر والأحاسيس من الآخر لتأكيد الذات وإلا فإنها علاقة حب سلبية من طرف واحد يرفضها الطرف الأخر أو يستغلها لتحقيق حاجته من العاطفة لتحقيق ذاته وعلى حساب الآخر.
في حين أن علاقة الحب في الغرب، هي محاولة للبحث عن الذات في الآخر أو رغبة في الاعتراف المتبادل بين الطرفين. وشروط العلاقة هي الاعتراف المتبادل بالكيانات المنفصلة وغير الساعية إلى التوحد لتبادل المصالح وبغض النظر عن شكلها (عاطفية، جنسية، اقتصادية، متطلبات اجتماعية، أو التغلب على وحشة الوحدة.....).
يعتقد ((رونية أوبير))"أن الحب، يعني الامتداد والتفتح وتحقيق الذات عن طريق الآخر".

بهذا فإن الحب في الغرب، هو مساعى لتحقيق الذات وليس لنكران الذات بالرغم من أنه يتقاطع ومسارات العاطفة والمشاعر والأحاسيس التي لاتحتمل طغيان وفجاجة (مبدأ تحقيق المصالح) ضمن إطار علاقة الحب لأنها علاقة إنسانية بحتة متخاصمة أبداً مع أنماط الحياة السائدة، فهي تخلق أنماطها الزمانية والمكانية والذاتية لحظة إبرام علاقة الحب ذاتها!.

لربما علاقة الحب تحمل بين طياتها شكل من أشكال تحقيق الرغبات (المصالح!) ولا يمكن لها أن تستمر إذا تخطت سمة تبادل المشاعر والأحاسيس، كما لايمكن لأي شخص أن يكون منهلاً للآخر إلى الأبد.....حينها يشعر بحالة الاستغلال وسعي الشريك لتحقيق ذاته وعلى حسابه. هذا السلوك الشاذ في علاقة الحب، هو مسعى لتحقيق الذات مقابل طمس ذات الأخر.

إذاً علاقة الحب تتطلب (إلى حد ما) مساراً متعاكساً في تحقيق الرغبات بين شركيين لإطفاء حالة الاستغلال وتحقيق ما يطلق عليه مجازاً بـ (تحقيق المصالح المشتركة!).

يشخص ((ماكس شيلر)) تلك الحالة قائلاً:"أن علاقة الحب تعني أعلاً وشخصنة فردية تسمو بمراتب القيم نحو الأعلى حيث يسعى من خلالها كل طرف لبلوغ الكمال لتأكيد الذات".

إن مفردات الاستغلال والمصالح وتحقيق الذات، هي من خاصة منظومة العقل وتتقاطع مع مفردات الإحساس والمشاعر والعاطفة التي هي من خاصة منظومة القلب وغالباً ما تتقاطع منظومة العقل مع منظومة القلب. وتسفر عنها حالة من الصراع حيث تتبادل مواقع الربح والخسارة وتُنحر علاقة الحب على مذبح المنتصر منهما. وبخلافه فإن الاتفاق بين المنظومتين يعني راعية كل منهما للأخرى تمنح حياة أبدية لعلاقة الحب.

أه فهمت ما تريد أن توصيله لعمقى يا أمي ، تنفست أمى الصعداء قائلة " أعرف أنك فتاة ذكية لذلك فكرى بشأن ذاتك ولا تهجريها بالكلية من أحد أشخاص لا تختذلى ذاتك يا زهرة " وضعت رأسى على قلب أمى قائلة لها "أعدك " .

بعد عدة أيام زارتنا سارة ومحمد ومن بعدهم بخمس دقائق دخل شمس ، أحب تلك الدوشة المنزلية ، جلست سارة ومحمد بجوار بعضهما وجلس شمس على الكرسى المقابل لى وجلست جدتى بجوارى وجاءت أمى مقدمة مشروبات ساخنة وقبعت بجوار شمس ،
بعد المزاح والترحيب بين جميع الحضور ، حل صمت فى المكان فكسرت ذلك الصمت قائلة " سأرسل التماس لرئيس الجامعة بشأن تعينى ، لن أكون ضمن هؤلاء السلبيون الساكتون عن حقوقهم " .

نظر لى الجميع فى دهشة ، ثم قالت سارة " اعتقد أنه من حقك يا زهرة عمل هذا ولكن ؟ " أجبتها لكن ماذا ؟ تدخل محمد قائلا " لا شىء يا زهرة " أجبتهم سأتقبل أى شىء صدقونى مادمتم بجوارى فنفسى مستعدة لمواجهة أى شىء " صمت الجميع ثم قالت سارة " لقد عينت زميلتنا فى القسم ياسمين بدلا منك " أجبتها بدلا منى كيف ترتيبها الثانى وتعين ، هذا لا يصدق " .

تنفست بقوة وأخبرتهم " فليكن الالتماس أمام القضاء ، لن أترك حقى " . نظرت لى أمى بدهشة قائلة " القضاء ! " ثم علا صوت شمس قائلا " أنا معك" وتبادل بعد ذلك الجميع موافقتى ثم قالت سارة " لا يجب علينا السكوت على الباطل مهما كانت المشقة التى سنعانيها جراء هذا ".
رد شمس قائلا " سألقبك بالدكتورة من الآن " أجبته فى مزحة مغامر متفاءل " .

أعطت أمى صورة لشمس وقالت له مررها على الجميع ، ومن يتعرف عليها فليقل من هى ، كانت إجابتنا جميعا أننا لا نعرفها ، ابتسمت أمى قائلة اذا سأخبرك الآن " من فى تلك الصورة هى "جوديت بولغار " أقوى لاعبة شطرنج بالتايخ.. وكانت تربيتها عبارة عن تجربة من قبل والديها حيث أن أباها "لازلو بولغار " كان عالم نفس مجري ألف كتابا بعنوان
"(Bring Up Genius!) !عن كيفية تربية العباقرة قبل أن يتزوج أمها ، وأتفق مع والدتها على تربية أولادهما ضمن هذه القواعد وكانت النتيجة مجموعة كاملة من الأطفال العباقرة ليثبت للعالم أن العبقرية والموهبة الفكرية ممكن خلقها وصناعتها بالتربية ولا تأتي بالقابلية الوراثية فقط.

تنفست ثم قلت لأمى " صدقينى أصبحت مقتنعة أن إعاقتى لن تجعلنى سلبية تجاه حياتى يا أمى " . تحدث محمد قائلا هل يمكنك أن تذكرى لنا ما جاء بداخل الكتاب يا أمى " يبدو أن محمد اشتاق لكلمة أمى منذ ان فارقت أمه الحياة منذ ثلاث سنوات " ابتسمت أمى قائلة " ما رأيكم أن تطلعوا على الكتاب بأنفسكم ثم نتناقش فيه " . وافق الجميع على المقترح واشتاق الجميع للاطلاع على مضمون الكتاب .

هنا دق جرس الباب لنجد هاجر خطيبة فؤاد ، حاولت أن أبعد تفكيرى عن فؤاد وأتحدث مع هاجرة بصفة ابنة العم فقط ، بدأت هاجر تسأل مستفسرة عن كل شىء ، وجاء سؤالها الأخير الذى استغاظت سارة منه قالت هاجر " وهل عينتى بالجامعة ، لقد قال لى فؤاد انك لن تعينى " . راح صوت سارة " بل ستعين لاننا سناقضى الجامعة ، أرجوك كونى حذرة فى حديثك يا هاجر " . بدأت هاجر تعتذر مبررة أنها لم تكن لها أية نية لجرحى .
رحل الجميع وبقيت فى كنف أمى وجدتى تحاوطنى أنفاسهم الآمنة .

تسللت نحو حاسبى ببطء بعد ساعتين من رحيل الأصدقاء ، فالجميع يكره جلوسى عليه فهم يقولون " أنه من أسباب تعبى " . المهم وجدت رسالة أوقفتنى من إلفت تقول " ما رأيك أن نفتح مؤسسة لفاقدى الأعضاء ، ونطبق عليهم قواعد العبقرية ، لنثبت للمجتمع أن جميع البشر سواسية " .

أعتقد أنى الآن عرفت من ذلك المجهول ، راح عقلى يذهب ويجىء حتى ربطت بين الأحداث فشمس يحب المغامرات ويريد أن يقترب منى على حد قوله وإلفت به نفس الصفات ، لم يحضر أحد وعندما كانت تحكى أمى عن كتاب عالم النفس و العبقرية وتطبيقها على أبنائه غير

الجالسون معنا تلك الليلة اعتقد هو شمس انه شمس ، اتصلت بسارة وأخبرتها بما حدث ، أخبرتنى سارة بأن أواجه الأمر مع شمس فلا داعى للمماطلة . وافقتها الحديث وعلى الفور كتبت له رسالة مضمونها " إلى شمس فكرة المدرسة رائعة ووافقت سارة وستقتنع محمد أيضا بها " . علق شمس على قائلا " أأنت تحديثينى يا زهرة ؟" علقت عليه قائلة " نعم يا إلفت " . لم يجب على الفيس بوك ، ولكنه هاتفنى قائلا " لن أجادلك ، أنت عنيدة وستصلى إلى ما ترغيبن ، ولكن هذه تلك الطريقة الوحيدة التى اعتقدت انى أجيدها للتقرب منك " . تنفست ثم ضحكت قائلة " ولم كل هذا ؟" أخبرنى قائلا " أخبرتك قبل ذلك أنك قريبة منى " همهمت قائلة " قريبة ! إلى أى حد ؟" قال لى " إلى حد الذى أطلب منك أن توافقى على أن أتحدث إلى والدتك فى أمر ارتباطنا رسميا " صمت قليلا ثم قلت " ليكن قربك منى صداقة الآن فلا تتعجل الأمور " . أجابنى شمس بالموافقة قائلا هل يمكننا أن نتجمع مع سارة ومحمد لكى نخطط لفكرة المدرسة ، أجبته بالموافقة ولكن شرط أن أقوم برفع القضية على الجامعة فى البداية .

انهى شمس مهاتفته لى على وعد لقاء غدا لنذهب لمحامى كى نرفع القضية ، أه يا شمس فأنت حلم أخشى الدخول فيه فقد أحيا به ، وقد أموت من عصيانه لى بعدما أضع نفسى بداخله ، تذكرت حديث أمى ذلك الحديث الذى طبطب على روحى فقد قالت لى " الهزيمة فى الحب قد تقوينا فى باقى أرجاء حياتنا فاخلقى من الهزيمة قوة " ، ولكن أعتقد أنى غير مؤهلة لحب أحدهم أو الدخول فى هذا الموضوع ، الآن يجب على أن أتاكد أن قلبى أصبح نظيف تماما من جراء وجعه السابق .

على الرغم من حبى لاسمك ، لكنى أخشى من ترك ذاتى تذوب فى الوجع ثانية ، أعلن أنى تائهة ، رافضة أن أجزم أمرى ، رافضة أن أسمع عمقى ، لا أعرف الوقت الذى سيطرق السلام باب قلبى . بالرغم أنى أشعر بالانجذاب إلى شمس إلا أننى بعيدة جدا لا أجرؤ على الإقتراب منه . ذكرتنى بالقضية مرة أخرى يا شمس ، وجعلتنى أفكر هل هاجر ستخبر فؤاد بها ، ويا ترى ماذا سيكون رد فؤاد ؟ .

فى الصباح جاء شمس وخرجت معه مصطحبين أمى للذهاب إلى محامى يعرفه شمس ليبدأ فى إجراءات رفع القضية ، ها نحن ننتظر دورنا للدخول إلى المحامى ، تحدث إلى شمس قائلة " مهتم أنت بالفلسفة " نظر إلى قائلا " نعم ، مهتم بها كإلفت تماما " أجبت شمس قائلة " كم كنت دوما أتخيل أنني أنتمى إلى مدينة أفلاطون الفاضلة " . أخبرنى شمس أن" تلك المدينة الفاضلة أو جمهورية أفلاطون كما تسمى أحيانا هي عبارة عن تصور تخيلي لما ينبغي أن تكون عليه مدينة أرضية حقيقية. وهي كما يرى افلاطون عبارة عن وضعية مثالية لدولة المدينة كما كان سائدا في الأوضاع السياسية في العصر الإغريقي." ثم أردف القول بمزحة " وما وضع المرأة عند أفلاطون " أجبته بابتسامة وعين مرتفعة " أنا واضحة وأخبرتك بصراحة عنى ، لكن أنت مغامر تخفى الحقائق وتجعل من شمس إلفت " ، أجابنى " شمس وإلفت هما نفس الشخص صنعت من نفسى شخصا اخرا لكى أتقرب إليك بقوة مضافة " أجبته قائلة " أنت تفسر كل شيء بمذهبك " أجابنى بعد أن تنفس بقوة " أخبرينى عن قواعد مدينة أفلاطون لعلنى أتمنى أن أنتمى لها يوما لأكون بجوارك " . أجبته " أنت عنيد ، وبالرغم من ذلك سأذكر لك :-
يقول الدكتور امام عبد الفتاح امام :- يطرح أفلاطون فكرته عن المساواة بين الجنسين، فهو يتصور أن ((الرجال كلاب حراسة ترعى القطيع)) والنساء مثل إناث كلاب الحراسة، عليها أن تسهر كالذكور على حراسة القطيع. ومعنى ذلك أن على الجنسين أن يقوما معاً بالحراسة.

والحراس هم الجهاز المحرك للدولة ذاتها، إنهم ((روحها)) فهم الذين يدافعون عنها، وهم أيضاً الذين يديرون شؤونها، ففي المدينة الأفلاطونية ـ وهو أمر طبيعي في الدولة القديمة ـ لا يوجد فصل بين السلطات، فأولئك الذين يحكمون ويمسكون بزمام السلطة وقت السلم هم أنفسهم الذين يدافعون عن الدولة وقت الحرب. ومن هنا فقد شغل أفلاطون نفسه باختيار هذه الطبقة وتعليمها. وهذا الاختيار الدقيق سيجعلنا نغفل أمر التفرقة بين الجنسين، فيما يقول الكسندر كوريه ـ فمع أن المرأة بصفة عامة أضعف من الرجل، فإن هذا الاختلاف ليس اختلافاً في الماهية. لكن إذا كنا سنفرض على النساء نفس مهام الرجال، فإن علينا أن نعلمهن نفس التعليم . وإذن فمن الضروري أن تأخذ النساء بنصيب من التعليم، ومن فن الحرب، وأن يعاملن نفس معاملة الرجال من حيث التربية البدنية، والموسيقية، والوقوف عاريات بغير حرج، وربما بدت هذه الاقتراحات غريبة لمخالفتها للمألوف .

قاطعنى شمس قائلا " المساواة بين الجنسين مازلت غير مألوفة إلى الآن للأسف فى مجتمعاتنا . ولكن أعتقد يا زهرة من الأفضل أن يتساوى بين المرأة والرجل من حيث النظرة لكل منهما فتكون النظرة المجتمعية لهم سواء كل منهم فلا يقلل من شأن أحد الجنسين بفضل أنه يجيد عمل لا يجيده الآخر .

فجأة وجدت هاتفى يعلن عن اتصال فؤاد بى ، تسمرت عيناى فى شاشة الهاتف ، إلى أن شعرت بنظرة شمس لى تقول من المتصل ؟ تجاهلت كل شىء وقمت باغلاق الهاتف .

هنا أخبرتنا السكرتيرة بأن دورنا قد حان ، هنا تنفست أمى قائلة " أعتقد نفسيا ، عند وضع المرأة تحت ظروف اجتماعية مساوية تماما للرجل وان تعامل المجتمع مع الجميع بمساوة تامة ، هنا تستطيع المرأة فعل ما يفعله الرجل ، أنا متفقة مع رأى أفلاطون " . ضحكت ثم وجهت نظرى لشمس قائلة " لن تستطيع المقاومة فنحن اثنتين وأنت واحد فقط " .

جلسنا أمام المحامى وتحدثت أمى موضحة له قضيتنا التى تتمثل فى ابعادى وتعين أخرى لأسباب قدرية بحتة "، هنا تحدثت لايضاح الرؤية لمنع الخجل عن أمى وشمس وقلت " لا يمكن أن يعاقب المجتمع فتاة بحرمانها من حقوقها وطموحاتها لمجرد أن قدرها جاء فى بتر يد لها " .

هنا أخبرنا المحامى بأن قضينا سهلة جدا وأنه يجب رفع قضية على من تسبب فى ذلك حتى يكون رادعا لغيره ، خرجنا من عند المحامى وقد ارتحت نفسيا أكثر وأكثر ، فهناك أناس مازالوا على فطرتهم " .

أوصلنا شمس إلى المنزل قائلا لى سأهاتفك ليلا ، ابتسمت له ولم أجبه .
ما إن أصبحت برفقة جوفى حتى جاء اتصال فؤاد يضغط على أنفاسى بقوة ، لماذا إتصلت يا فؤاد وماذا تريد ؟ أه يا نفسى ، ماذا بك ! أتريد أن تواسى هجرانك لى أم تريد أن تلم بزمام الأمور وتمسك بكل الطيور ؟ أعدك يا فؤاد بقدر هجرك لى بقدر ما سأنساك .

خيرة وقلق

ظل هاتفى ليلا يضىء باسم شمس يتصل بك ، لم أجبه فلا أريد أن اقترب أكثر من هذا ، فأنا أريد أن أدخلك عسيرا يا شمس حتى لا تخرج يسيرا ، أريدك أن تدخلنى كرها كما دخلت الروح لجسد آدم كرها ، حتى لا تخرج منى إلا كرها . لا أريد أن أقع فى شباك الماضى .
دخلت جدتى وأنا سارحة فى ملكوت المعضلة الإنسانية القابعة بداخل البشرية منذ الأزل ، معضلة الحب .
جلست بجوارى قائلة " ماذا بك بابنتى " ؟ أجبتها لا شىء يا جدتى ، أفكر فقط بشأن قضيتى ، وأيضا كنت أفكر بالاتصال بسارة حتى نجتمع مع محمد وشمس لوضع خطة للمدرسة التى ننتوى أن نجعلها مشروعنا الإنسانى القادم .
أجابتنى " اذا اتصلى بها صباحا " . ابتسمت لى جدتى قائلة " اخلدى إلى النوم الآن كى تستطيعى التركيز غدا فى إبداء وجهات نظرك " . أجبتها وأنا أتلحف بالغطاء والتفكير " حسنا سأفعل " .
فى الصباح هاتفت سارة واتفقت معى على لقاءنا جميعا فى الساعة السادسة مساءا ، وافقت بعدما أخبرتها أنى سأعلن لشمس الموعد وأخبرى أنت محمد بالموعد .
بالفعل جاءت السادسة وكنت برفقتهم جميعا فى المنزل ، جلسنا نمازح بعضنا البعض إلا أن شمس تضايق فجأة ، ثم قال " هيا نتحدث الآن بجدية عن مخططنا تجاه مشروع المدرسة " .
أجبته بنظرة استفسار " حسنا فليكن " . طرحت فكرتى ما رأيكم أن نفتح المدرسة أمام الجنسين ذكر وأنثى ، ولتكن الفرصة أمام الجنسين متساوية فى كل شىء ، ليعلم الجميع أنه لا فرق بين بشرى واخر ، إلا حينما نفرض ظروف مجتمعية متباينة أمامهم " . هنا قاطعتنى سارة " لا نستطيع فعل هذا إلا إذا كانت مدرسة داخلية " . حتى لا يهدم المجتمع ما سنفعله " أجاب محمد " بل هناك فروق فطرية بين الجنسين " ، تنفس شمس قائلا " أنا مؤيد لرأى محمد ، ولكن مؤيد أيضا لفكرة تساوى الفرص " نظرت إلى سارة " اذا لنساوى الفرص ونعمل على هذا وليس على اثبات وجهات النظر " أجابنى محمد قبل أن انتهى من جملتى " موافق ، وأعدك بأن أنظر للاهداف النبيلة وليس لاثبات الرأى " . سألت سارة " هل يمكننا تطبيق قواعد الذكاء والعبقرية فى تلك المدرسة " . علا صوتى وأنا أقول " أنا ممتنة لتلك الفكرة جدا " . اقترح شمس ومحمد أن ندرس جيدا كل الأهداف وأن نستعين بخبراء فى كل المجالات وأن ندقق النظر فى كل شىء حتى تصبح أهدافنا محل تنفيذ وننجح فى هذا " . اتفقنا جميعا على اللقاء الأسبوعى لفترات لا تقل عن ست ساعات كى نضع كل قواعد مشروعنا ."

هنا أضاء هاتفى مدق برنة رسالة جديدة ، لأفتحها أجدها من فؤاد ، يا للهول ماذا تريد منى الآن ، لماذا تدخل حياتى الآن بعدما شعرت أنى أمارسها بهدوء ، بدأت أقرأ الرسالة التى تقول " زهرة ، أشعر بأنى مخطىء ، أريد أن اتصل بك الليلة هل يمكننى ذلك ؟ " . يا للسخافة تريد أن تكسر قلب أنثى كان حلمها أن تكون زوجتك ، ورتبت كل حياتها من خلالك ، وتريد أن تداوى جروح تلك الأنثى برسالة واعتذار ، حقا سخافة .

جعلتنى رسالتك لا أركز مع الحضور ، درجة أن الجميع شعر بتغير ما انتابنى ، سأل شمس " هل أزعجتك تلك الرسالة ، ابتسمت فى حيرة قائلة " أبدا ، لا شىء " .

ساد الصمت ثم قطعته سارة بفكرتها الجذابة قائلة " ما رأيكم بأن نكتب كتابا عن قصص

نجاحات المعاقين وأخذ موافقة الدولة فى تدريسه لأطفالنا بالمدرسة ، راقت الفكرة للجميع ، وقال شمس بل لنعرضه للبيع فى أسواق الكتب ، ليكون حافز للجميع حتى الذى بكامل أعضائه أعتقد أنه سيكون لديه روح العمل من تلك النجاحات ، بدأ كل منا يتذكر القصص التى بذاكرته فقال محمد " ما رأيكم أن نصح قصة : -

لودفيغ فان بيتهوفن

1827 -1770الإعاقة: الصمم من أعظم الملحنين في العالم على مر التاريخ، كان أول أداء له أمام جمهور كعازف بيانو عندما كان يبلغ من العمر ٩ سنوات، وقد درس في فيينا على يد الموسيقار الألماني "موتسارت"، وعلى الرغم من فقدانه حاسة السمع عام ١٧٩٦، إلا أنه لم يفقد العزيمة، بل أنتج أفضل مؤلفاته الموسيقية في هذه الفترة، منها السيمفونية التاسعة، وكونشيرتو البيانو الخامس، وكونشيرتو الفيولينا، وقداس "ميسا سومنيس Missa" " Solemnis"

هنا تحدثت سارة قائلة ذكرنى حديث محمد ب :-

فريدا كاهلو

الإعاقة: شلل الأطفال من أشهر الفنانات المكسيكيات، وقد اشتهرت لوحاتها 1954 -1907 بأنها تجسد صورتها الشخصية وتعكس معاناتها مع الألم، وتعد أول رسامة مكسيكية في القرن العشرين التي بيعت أعمالها لصالح أحد المتاحف العالمية، عندما بلغت السادسة من عمرها بدأت كاهلو تعاني من مرض شلل الأطفال الذي جعل ساقها اليمنى أرق من ساقها اليسرى، مما اضطرها لارتداء التنانير الطويلة، ويقال إنها عانت بعد ذلك من مرض الحبل الشوكي، وهو مرض يؤثر على الظهر والساق، وبعد مثولها للشفاء، أخذت الآلام تعود لجسدها مرة أخرى وظلت معها حتى وفاتها ١٩٥٤

هنا تدخلت أمى فى الحديث قائلة ما رأيكم أن تضعوا فى أخر الكتاب كلمة " ضع اسمك بين المشاهير هنا " ، وتضعوا انتاجم من الطلاب الموهوبين فى المدرسة فى آخر الصفحات ، قال شمس فكرة تحفيزية رائعة ، ثم أكملت أمي حديثها قائلة من يتذكر :-

الأديب طه حسين

ضاع بصره في السادسة من عمره نتيجة الفقر والجهل,وحفظ القرآن الكريم قبل أن يغادر قريته إلى الأزهر طلبًا للعلم ، حصل على درجة الدكتوراه الأولى في الآداب سنة ١٩١٤ وعين عميدًا لكلية الآداب سنة ١٩٣٠ ,وهو القائل(التعليم كالماء والهواء حق لكل مواطن). ومن إبداعاته كتاب (الأيام)كما له أثاره فى كتاباته (في الشعر الجاهلي)وتميز بثراء أسلوب النادر الذي جعل منه علامة فريدة من علامات الأدب العربي الحديث.

انتهى اليوم وخلدت للنوم ، ثم وجدت اتصالات فؤاد تتوالى ، هل أجيبه ؟ أم لا أعبأ بالأمر لا أدرى ، تزاحمت الأفكار بداخلى ، يدى تذهب نحو زر الإجابة وعقلى يبعدنى بكل قوة ، قلبى ، لا يعرف ماذا يريد ؟

وردت رسالة فى ذلك الوقت اعتقدت أنها من فؤاد يحاول فيها أن يحمسى من اجل عليه ، لكن خاب ظنى إنها من شمس يدعونى فيها لتناول كوب من القهوة فى كافيتريا مجاورة لمنزلنا . ما ذلك الهراء ؟ أين الحب من كل ذاك ، لقد اضطرب صوابى . بعد تفكير طويل أرسلت لشمس رسالة بالموافقة ، وأرسلت لفؤاد رسالة مضمونها أن يكف عن الاتصال . فما الذى يجذبنى لرجل قرر أن يفقدنى لمجرد فقد جزء منى . فى تلك الأثناء أرسل فؤاد يقول " هل رفعتى قضية على المتسبب فى إضرارك بعدم تعينك حقا " . آه يا فؤاد أهو الأمر كذلك تود التقرب منى لأجل أن تكون قريبا منى حتى نتيجة القضية فان كسبتها ما الضير أن تكون معى ، ربما أصلا تركتنى لعدم تعينى بالجامعة ، آه ستكسر رأسى من كثرة التفكير .

لأصنع فنجانا من القهوة ، فأصبحت غير قادرة على فعل أى شىء ، دخلت أمى وأنا أصنع القهوة مستفسرة فى دهشة " قهوة فى وقت متأخر كهذا يا زهرة " . ومن هنا دار حوار مكثف بيننا :-

- يبدو أننى ما زلت أفكر فى الماضى يا أمى .

أمى فى انزعاج / كيف يا زهرة ؟، لا تقلقينى بشأنك ، أنا بجوارك وكل شىء سيصبح على ما يرام .

أجبتها فى تردد :- يحاول فؤاد أن يتقرب منى بالرسائل والمكالمات التى لا أجيبها ؟

أمى بقلق :-ماذا تقولى ؟ ما هذا الشخص المختل، هو الآن مرتبط بفتاة ، لماذا يود لو كل الفتيات تتورط معه ، ؟

تنفست بألم قائلة :- لا أعلم شىء غير الذى ذكرته لك . هو يقول أنه أخطأ بحقى ، ولكن يسألنى أيضا بشأن القضية التى قمنا برفعها على الجامعة ، هل تعتقدى أن القضية مرتبطة بشعوره بالخطأ تجاهى .

أمى بعصبية :- سأحدثه ، ليكف عن هذا الهراء ، إما سأذهب لوالدته .

أحبتها بهدوء :- لا تفعلى أرجوك ، دعينى أتصرف بذاتية ، وما إن فشلت سألجأ للمساعدة منك ، تأكدى أنى سأحكى لكى كل ما يحدث ، لا تقلقى أرجوك .

صنعت لى أمى كوبا من الفراولة ، وسحبت من يدى فنجان القهوة ، ثم جلست بجوارى على الفراش حتى أتانى النوم .

فى الصباح ، جلست أمام الحاسب لأبحث عن بعض المعلومات والكتب التى تتحدث عن حرية المرأة فى الدين الإسلامى

ما لفت نظرى هو كتاب قالوا عن الإسلام

إعداد الدكتور عماد الدين خليل هذا الكتاب يقدم مجموعة من الشهادات المنصفة في حق الإسلام، وقرآنه الكريم ونبيه العظيم، وتاريخه وحضارته ورجاله، وهذه الشهادات صدرت عن أعلام معظمهم من غير المسلمين، فيهم السياسي والأديب والشاعر والعالم، والعسكري،والرجل والمرأة .

ما لفت انتبهاى أكثر فى الفصل الذى يعدد فيه الأراء حول المرأة :-

رأى مارسيل بوازار

(كانت المرأة تتمتع بالاحترام والحرية في ظل الخلافة الأموية بأسبانيا ، فقد كانت يومئذ ..)

تشارك مشاركة تامة في الحياة الاجتماعية والثقافية، وكان الرجل يتودد لـ(السيدة)للفوز بالحظوة لديها ..إن الشعراء المسلمين هم الذين علموا مسيحي أوروبا عبر أسبانيا احترام المرأة...

دخلت أمى لتدعونى لوجبة الإفطار وجدت نفسى أناقشها " هل كان للمرأة حقا شأنا عظيما فى عصر الخلافة الأموية بأسبانيا ؟ أجابتنى أمى لا أعرف مكانة المرأة فى ذلك الوقت لكن كل ما أنا متأكدة منه أنى أرى حالات إزدراء لحقوق المرأة الآن فإذا ذهبنا إلى بعض الطبقات الاجتماعية فى مجتمعانا سنجد أنهم يعاملون المرأة كممتلكات " مثل اغصابها على زواج شخص دون الآخر ، وإخراجها من التعليم وغيره " ، أجبتها ولكن أنا لا أرى تلك المعاملة للمرأة فأرى المرأة تتعلم وتعمل فى تلك الأيام ، ابتسمت أمى قائلة " انظرى للأمر بكلية ، انظرى لجميع طبقات مجتمعك ومن ثم احكمى " . أكملت أمى حديثا وفى نفس الوقت كانت تسحبنى من يدى لتناول الإفطار " إن تمعنا فى كل الطبقات ، فسنجد طبقات بدائية ليس بها أى حقوق للبشر سواء ذكر أو أنثى ، ويسود مقولة " البقاء للأقوى " . تنفست أمى أثناء قرع جرس الهاتف ووضع يدها على السماعة استعدادا للإجابة على المتصل وهى تقول " ليت الدولة ترعى هؤلاء " .

أجابت أمى على الهاتف وإذا به شمس يريد أن يحدثنى ، ما إن أجبته حتى أخبرنى أنه سيمر على اليوم لنذهب لتناول القهوة فى أى كافيتريا مجاورة " ، قد وعدت أمس أنى سأخرج معه " أجبت شمس قائلة " إذا لتأتى فى الساعة الخامسة مساءا " . وافق شمس فى فرحة مثيرة للبهجة .

فى الخامسة جلست مع شمس بالفعل لتناول فنجانا من القهوة فى كافيتريا مجاورة لمنزلنا ، لم يتحدث شمس كثيرا بقدر ما نظر إلى ، فتحت موضوع مستفسرة من شمس " ما رأى علم النفس فى الفروق بين الذكور والإناث" ، أجابتى فى مزحة " ستجنى بسبب بحثك عن قضايا المرأة والحرية والمساواة " أجبته فى ابتسامة " أجبنى ولا تكن سخيفا " أجابنى شمس بعدما رشف من فنجان القهوة وذاق مذاقها " هل تريدي الرؤى التى أتفق معها أم جميع الرؤى " . نظرت إليه " لتخبرني عن الرؤية الأكثر انسجاما مع طبيعتك ، أومأ شمس برأسه ثم قال " أنا أتفق مع رؤية ((رومن رولاند)) أجبته " وما تلك الرؤية ؟ "

رومن رولاند :- يرى أن الرجل والمرأة كائنان ناقصان، كل منهما يسعى للبحث عن نقيصة الآخر أو لاستكمال نقائصه في التوحد مع الآخر سعياً نحو الكمال غير المنشود!. وبالتالي لايوجد فضل لأي مخلوق منهما على الآخر، فالطبيعة حددت مهام ووظائف كل منهما وأي مسعى لنقض قوانين الطبيعة وإنما هو مسعى يبوء بالفشل.

إن مبدأ الاعتراف بحسنات ونقائص كل من الرجل والمرأة، يفضي لمبدأ الحاجة والمصلحة لكل منهما إلى الآخر. ويجعل الحياة أكثر انسجاماً مع واقع وقوانين

الطبيعة التي خصت كل منهما بحسنات يحتاجها الآخر ونقائص في الذات يسعى لسدها من خلال التوحد مع الآخر.
هذا الفهم لقوانين الطبيعة، يجعل الرجل والمرأة أكثر انسجاماً وحاجة كل منهما للآخر دون الحاجة للشعور بالدونية وممارسة أدوار التسلط والهيمنة لإخضاع الآخر بما يخالف قوانين الطبيعة الحضانة لهما.
يعتقد ((رومن رولاند))"أن كل الرجال كذابون، ماكرون، ثرثارون، وذو وجهين ومخاصمون. وكل النساء متكبرات ويعشقن المظاهر وخائنات، وليس في العالم إلا شيء واحد مقدس وسامي هو اجتماع هذين المخلوقين الناقصين".

هذا ما أقتنع به من أعماقى يا زهرة ، هنا رأى شمس هاجر من بعيد أخبرنى شمس قائلا " ماذا أتى بهاجر هنا " أجبته " هاجر ؟ لا أعرف " اتجهت ببصرى نحوها رأيتها تأتى نحونا ودون أى سلام هب صوتها يعلو " ما شأنك بفؤاد ؟ " أجبتها اهدأى يا هاجر ، أولا تفضلى بالجلوس " . رفضت هاجر الجلوس قائلة " فؤاد لن ينظر لفتاة مقطوعة يدها " . هنا ثار شمس قائلا " أنت معتوهة ، ثم جذبنى إليه قائلا هيا بنا هيا ، لا يجب أن نجادل شخصية ليس لديها أى نوع من العقل " . هنا وقفت ثم نظرت لها بنظرة ثقة قائلة " صدقينى كل هذا لن يهزمنى ، أصبحت مقتنعة بأن الله ما أخذ إلا ليعطى ، وسأريحك فؤاد هو من يتصل بى ويرسل لى الكثير من الرسائل " .
جذبنى شمس وهرول بى قائلا " قلت لك لا ترهقى نفسك مع سخيفة كهذه " ، وصلت المنزل ووجهى ليس به إلا الإحباط والحزن ، حكى شمس ما حدث لأمى وجدتى ، قالت أمى لماذا لم تريها الرسالة ؟ ، أجبتها " هى لن تهدأ إلا عندما أموت " . صاح شمس قائلا " ما تقوليه ينتمى إلى الحنون ، خافى على مشاعرنا على الأقل " .

بعد أن هدأ ت ثورة الجميع ، جلسنا وأخبرتنى أمى أن إجراءات القضية تسير على ما يرام ، والمحامى واثق من كسب القضية ، ابتسمت لها قائلة " كل شىء سيظهر فى الأيام القادمة .

تركتنى أمى جالسة مع شمس ودخلت لإعداد مشروب قال شمس فى ضيق " لماذا لم تخبرينى أن فؤاد يراسلك يا زهرة " ، قلت له بلؤم " لقد أخبرت أمى " أجابنى وقد احمر وجهه " سيكون عليك اخبارى بكل شىء فيما بعد" ، فتحت الباب لشمس قائلة " احلم ، فالحلم من سمات الإنسان الأساسية " . قرب شمس منى قائلا "قد قاطعتنا هاجر تلك البلية التى جاءت فى جلستنا ، أجبته آه لقد ذكرتنى كنت أريد أن أخبرك " عن تجربة "سيلجمان" عالم النفس الشهير " ، أجابنى سترجعى أيضا لقضيتك هل أدمنتي التحدث عن الحرية وسمات الرجل والمرأة " أجبته " ربما ، ولكن السماع الآن اجبارى " قال لى "إذا اخبرينى بدلا من أن تحاكمينى بعد فترة " . أجبته بعد ضحكة عالية " تجربة "سيلجمان" عالم النفس الشهير.. فبعد تعليم كلب تجاربه ما نسميه "العجز المتعلم" وحبسه وتعذيبه وضعه في قفص مفتوح وأعطاه حرية الخروج وممارسة حياته بحرية. ولكن الكلب رفض الخروج وجلس في ركن القفص عاجزاً عن التصرف واتخاذ القرار" . هب شمس قائلا " أتشبهى الكلب بالإنسان " أجبته " اهدأ هذا مجرد مثال لما أود أن أوصله لك ، قد قراءت مقال للدكتورة حنان حسن عطا الله وقد أعجبنى كثيرا وقد انتميت إلى هذا المقال بشكل أو بأخر " قال شمس " ما رأيك بأن تخبرينى

عما فى هذا المقال " . قلت له " بكل سرور ، تكمل الدكتورة حنان بعد المثال قائلة " مع إعتذاري للقراء أن يكون مثلي والتجربة مطبقة على كلب - ولكن هذا ما يحدث لكثير من النساء. وهذا ما توصلت إليه صاحبة شعار ولي أمري أدرى بأمري فبعد محاولة يائسة قد تقوم بها بعض النساء من التخلص من قيود الرجل في حياتها تقول لنفسها "خلاص دعي الأمر في يده"!!.

أنا بالطبع لا ألوم المرأة غير القادرة على الخلاص من أنياب المجتمع والرجل، بل ألوم تلك القادرة ولكنها انزلقت في سياق العجز. ثم إن كثيرا من البحوث أجريت على المرضى، وفي مدى شعورهم بالألم المريض وجد أنه في حال كان الطبيب هو الذي يتحكم في إعطاء الجرعات المسكنة لم يخف الألم، كما خف عندما وُضع للمريض جهاز متصل بجسده يضغط عليه كلما تألم فيخف الألم!. بل الأكثر من ذلك أن المريض لم يعد يطالب بالمسكنات بكثرة كما كان يفعل عندما كان الطبيب هو المسيطر على الموضوع. وهنا نرى ما ينتج عن أن تضع الشخص في موقف الضبط وحرية إدارة حياته، حيث يصبح أكثر تحملاً للمسئولية. وأقل ضعفا واعتمادا على الآخرين!.

هذا ما عجبنى فى مقال الدكتورة ، أنا مقتنعة بأن الظروف المجتمعية كثيرا ما تأثر فينا بشكل أو بأخر .

هنا قرع جرس الباب إذا بها هاجر خرج لها شمس قال لها ماذا تريد الآن ، هنا تدخلت جدتى لتهدئة شمس ، دخلت هاجر وقبل أن تنطق بأى كلمة " جلست أمى بجوارها ممسكة هاتفى قائلة " انظرى يا هاجر لتلك الرسالة " . هدأت هاجر قائلة " أنا أسفة " . قلت لها لا تعتذرى سأثبت لك أن فؤاد هذا ليس له عزيز وأنه يلعب بمشاعر الفتيات وفقط " .

دخلت حجرتى أرسلت تلقائيا لفؤاد " أريد أن أراك غدا " ، ما إن وضعت هاتفى بجوارى حتى أرسل لى قائلا " ليكن موعدنا غدا فى السادسة مساءا أمام الجامعة " . لم تتغير طباعك يا فؤاد فلا تتناقش فى أى أمر لا أتذكر يوما قلت لى فيها " ما رأيك ؟ ، كل مرة تخبرنى بقرارك ، ولا شأن لك بموافقتى أو مناسبة ما قلته لى من عدم مناسبته لى ، لا يهمك ، ما يهمك هو تنفيذ قراراتك فحسب " . تذكرت ذلك اليوم الذى جلست أمازحك وأقول " وأنت كدكتور فى علم الإجتماع ما رأيك فى حرية المرأة " أجبتنى دون أن تلتفت إلى " المرأة خلقت لتكون ملك للرجل " . اعتقدت أنك تمزح حينها ، لكن مع الوقت أدركت أنك شخص تؤيد قمع المرأة بأى شكل .

فى الصباح جاءت جدتى تمازحنى قائلة " يبدو أننا سنفرح بك قريبا " ضحكت لها مجيبة " ماذا تعنى يا جدتى " ، اقتربت منى معطية لى " خبز وبه قطعة من الجبن مع كوب من الشاى ثم قالت : سأصدقك أنك لا تفهمينى أنا أقصد شمس " تناولت قطعة من الخبز ثم بعض الشاى وتحدثت " ماذا بشمس " ، أجابتنى جدتى " يبدو أنه يتقرب منك كل لحظة ، وعيناه تقول أحبك ، أحبك " . ضحكت بسخرية إذا حدثينى عن علامات الحب التى رأيتها فى شمس ، تنهدت جدتى قائلة " حسنا سأخبرك ببقية علامة الحب ، وقارنى بينها وبين شمس " .

إدمان النظر:- فالمحب يجعل نظره دوما على المحبوبة وهذا ما لاحظته على شمس.

الخوف :- الخوف على المحبوب من كل شيء والخوف من بعاده عنه ، وهذا قريب جدا من شمس لا يبرح أن يخرج من هنا حتى يقوم بالاتصال بك ومهاتفتك ، واقرب موقف خوفه عليك من هاجر وفؤاد .

الغيرة :- يلتهب نار الشوق فى قلب المحب ، ألم تلاحظى غيرة وفؤاد وسؤاله لك عن " لماذا لم تخبريه برسائل فؤاد واتصالاته " .

فكرى بشمس كزوج مناسب ، يحبك ، يخاف عليك يا زهرة ، وإن كنت تثقى بجدتك ، فجدتك ترشحه لك بقوة . أجبتها بتوتر " دعينى أفكر بهدوء يا جدتى ، فأنا أريد أن أزيل بقايا وجعى الأولى " . ضمتنى جدتى إليها قائلة غدا أول جلسة لقضيتك فى المحكمة ، أريدك فتاة واثقة من حقها . رجوت جدتى حينها وأنا أدفن نفسى بداخلها أن تدعو لى .

جاءت السادسة ، فى حضور فؤاد ، لم أتذكر أن فؤاد جاء في مواعيده أو قبل موعده غير تلك المرة ، ما إن جلست حتى طلب لنا كوبين من عصير المانجة ، قاطعته قائلة " أريد أن أتناول القهوة " . أجابنى فى دهشة "بعد ذهاب النادل " لكنك لم تعارضى يوما اختيارتى لك " أجبته بعدما اتكأت على الكرسى " لم تعد الأمور كما كانت " قاطعنى قائلا " فلنرجعها كما كانت " أجبته بنفاذ صبر " دع الأمور تجرى بقدرية " .

جاء سؤال فؤاد المتوقع " ماذا فعلتى فى القضية " أجبته " طمئنا المحامى بأن مكسبنا فيها بنسبة ٩٩.٩ حتى أنه مزح وقال الواحد من عشرة المتبقية للقدريات " . جاء النادل بالمشروبات واضعا أمامي المانجة اقتربت من النادل قائلة " أنا صاحبة القهوة " ، اعتذر ثم وضعها أمامى وذهب ، قال فؤاد " حتى النادل يفضل اختياراتى إليك " أجبته وأنا أعبث بفنجان القهوة " ربما يعجب المجتمع كله باختياراتك لى فى حين أنها لن تعجبنى فلن يجدى ذلك بشيء ، الأهم أن تروق لى اختيارتك وليس المهم بقية الناس " . أصبحت عنيدة يا زهرة قال فؤاد تلك العبارة وهو يشرب قليلا من المانجة ، أجبته دون تفكير " لم أعد عنيدة وفقط ، بل أصبحت أحب عنادى هذا " . رجع فؤاد لاستفساراته عن القضية أجبته بأن أولى الجلسات غدا ، قال لى " مطمئنة ؟ " أجبته دون النظر إليه " بكل تأكيد " .

رجعت المنزل وجدت سارة ومحمد وشمس ينتظرانى ، ما إن دخلت حتى سألنى شمس " أين كنتى يا زهرة ، ولماذا هاتفك مغلقا ؟ ، أخرجت الهاتف من حقيبتى ناظرة إليه ، ثم أجبت قائلة " يبدو أنه فصل شحن " أخذت شاحن الهاتف ووضعته فى الكهرباء " . ثم قالت سارة ، لقد أتينا بمجموعة أراء حول سلبيات النظر إلى المعاقين من قبل المجتمع حتى نقوم بتجنبها نهائيا فى المدرسة ، نظرت إلى الأوراق بسرعة وما لفت نظرى الآثار المترتبة على نظرة المجتمع المأسوية للمعاق وأهم ما لفت نظرى الآثار النفسية التى أتت فى بحث ما من أبرزها ما يلى :-

إن نظرة الناس السلبية لذوي الاحتياجات الخاصة تؤثر في النواحي النفسية المتمثلة بالآتي:

١- الشعور بالفشل والانسحابية والعدوانية وضحالة الميول والاهتمام واضطراب مفهوم الذات وعدم الاتزان الانفعالي وتتشكل لديهم ردود فعل عاطفية وانفعالية سلبية.
٢- ظهور المشاعر غير المتزنة وعدم توجيه المشاعر تبعا للمواقف الخاصة.
٣- الشعور الزائد بالعجز والإحساس بالضعف والاستسلام للإعاقة والقلق والخوف من المجهول

وعدم الشعور بالأمن وعدم الاطمئنان إلى حالتهم أو للغير.
٤-عدم التوافق النفسي الذي يسبب انحرافاً سلوكياً مثل العدوانية والغش والسرقة والكذب والشجار والعزلة والتبعية والعنف والشراسة والتذمر والنقمة والقلق والخوف.
٥- فقدان في الشخصية مثل الشعور بالنقص والعصبية الزائدة وعدم تقدير الذات والقلق وسرعة الإثارة والخجل المفرط، وتوجيه العدوانية والإنكار..الخ أو سيادة مظاهر السلوك الدفاعي مثل التعويض وإسقاط الأفعال العكسية للتبرير.
٦-ظهور أنواع من الاستجابات التعويضية المفرطة مثل الاستياء من النفس، ولوم المجتمع لتحيزه ضدهم ويشعرون بأنهم يعاملون بطريقة غير عادلة فيتجنبون الاتصالات الاجتماعية والتنافس مع الغير والتمركز حول الذات.
٧- الشعور بأنهم أقل من الشخص السليم ويتعلقون بالأشياء التي تجرح شعورهم، كما يقومون بتفسير اتجاهات سليمي البنية نحوهم بحيث تتلاءم واتجاهاتهم على أنهم أقل من الأسوياء ومنبوذون لوجود الإعاقة لديهم.
٨- التعرض لاضطرابات انفعالية وسوء التوافق نتيجة للتنشئة الاجتماعية غير الصحيحة، وفقدان دوافع العمل وإطفاء جذوة الطموح والتطلع إلى غد أفضل والإحساس بالاضطهاد فيميلون إلى الانكماش في علاقاتهم الاجتماعية.

هنا دخلت أمى وقالت أعلم انتواءكم على فتح مدرسة بصفات خاصة وسأكون معكم كممول لمشروعكم ، تفكرون بكل شىء ولا تفكرون فى التمويل ، أصدر الجميع ضحكة وتتابعت الأقوال " حقا كيف نسينا هذا ، يا للسخافة نفكر بكل شىء دون أن نفكر بمصدر المال " .

بعد عدت أيام قابلت فؤاد صدفة وأنا خارجة من ندوة مقامة بمكتبة بجوارنا ، كان فؤاد يقترب فى الفترة الأخيرة بطريقة تثير الملل لم أكن أجيب عليه ببساطة لأننى كنت قد قررت أن أعيش فى سلام مع جوفى ، لم أراه منذ أول جلسة فى المحكمة ، جلسة الإجراءات المؤجلة لقضيتى ، اقترب فؤاد قائلا مرحبا زهرة ، أجبته بعد صمت دام دقيقتين مرحبا ، طلب منى أن نجلس فى مقهى قريبة وافقت لكى أضع حدا لذلك الغباء المقيم على ضفتى تلك الأيام ، ما إن جلسنا حتى راح يداعبنى كى أرجع له مسكت بهاتفى وضغطت على زر التسجيل ثم قلت له " وهاجر ؟ " أجابنى أتركها الآن إن وعدتينى أن ترجعى لى " أرجعت رأسى للخلف قائلة " ألم تحبها يوما ؟ " أجابنى بسرعة دون أية تفكير " لالا لم أحبها لكنى اعتقدت أنها ستكون مناسبة لى ، لكنى لم أحب غيرك " قلت له " لقد خسرت القضية " ، أجابنى " لا تهرجى يا زهرة " ضحكة بعبثية " أنا لا أمزح .

لملم فؤاد أشياءه المبعثرة على المنضدة وقام قائلا " عفوا يا زهرة لدى بعض المواعيد الآن لنلتقي مرة أخرى " . وقفت قائلة له " لم تحكم المحكمة بعد وتأكد أننى سأكسب القضية ، ولكن الآن إياك أن تقترب منى مرة أخرى بعدما جعلتك تسكب نيتك أمامى ، أنت لا تحب هاجر ولا تحبنى أنت تتلاعب بمشاعر الفتيات ويهمك الواجهة الإجتماعية لك فقط ، ثم إقتربت منه قائلة : هذا الهاتف يحتوى على اعترافك بعدم حب هاجر ، تلك المسكينة التى جاءت لى والنار تتقد من عينها خوفا من أن تتركها ، متيمة بك أنت ، تلك الفتاة السخيفة التى أحبت رجل لا يعرف الحب ، هاجر اكتسبت سخافة حبك منى لكنى سأخبرها بحقيقتك كى تفلت من قبضة شخص مرواغ مثلك . قلت تلك الكلمات ثم تركته خلفى ، شعرت حينها أنى انتصرت لكل الحب الذى أحببته إلي فؤاد ، انتصرت لكل الوجع الذى توجعته من أجل شخص لا يعرف الحب ، انتصرت لذاتى ، وانتصرت لفتاة جاهلة بمخالب شخص أنانى .

بعد عدة أيام كنا جميعا فى قاعة المحكمة ، سارة ومحمد شمس وجدتى ، باقى من الزمن أقل من دقائق ليحكم القاضي ، فى تلك الفترة المتبقية دخلت هاجر وفؤاد إلى القاعة ، هب شمس لكن جدتي منعته من القيام نحوه ، هنا جاء القاضي لينطق بحكمه لتعيني كمعيدة ومحاسبة المتسبب فى تجاوزي فى التعين .

خرجنا من القاعة نحو السيارة ، وإذا بفؤاد يقترب منا قائلا " مبروك " لم يجبه أحدا سوى جدتى قائلة " الله يبارك فيك " ، تركنا هاجر وفؤاد ثم توجهنا إلى المنزل ، ما إن جلست حتى تحدثت إلى الجميع عن الحوار الذى دار بيني وبين فؤاد ، ثم أسمعتهم التسجيل الذى يعترف فيه بالتلاعب بمشاعر هاجر ، قالت جدتي ليس لكى علاقة بالأمر سأتصرف بمعرفتي .

فى اليوم التالي اتصلت جدتي بهاجر عازمة إياها على الغذاء ، ثم أدخلتها الغرفة وبيدها كوبين من الشاي ، ثم خرجا ولم أعرف ما دار بينهما ، إلا أن هاجر قالت لى " شكرا لك يا زهرة ، قد تعلمت درسا لن أنساه " ، بعدما خرجت قالت لى جدتي " قبل أن أكمل حديثي لهاجر كانت مقررة أن تترك فؤاد " . سألت جدتي " ماذا قالت لك يا جدتي ؟ " قالت " لن أبنى مستقبلى مع شخص أحافظ عليه وهو يضربنى من خلفى " . ثم أكملت جدتي حديثها " هاجر يا زهرة فتشت فى هاتف فؤاد حتى تأكدت من مراسلته له وتأكدت عندما سمعت التسجيل أكثر ، لهذا قررت تركه " .

ها هو الآن حلمي يتحقق وبنينا المدرسة ، وجهزنا كل خططنا إليها ، وبدأنا فى توضيح الأمور لأولياء الأمور وراقت أفكارنا للكثير منهم ، حقا الطموحات الكبيرة تبدأ من الوجع وتتحقق فى ريعانه .

لن انسى ذلك اليوم الذى تحاوط الجميع حولى لاقناعى بأن شمس هو الشخص المناسب لى ولا أعرف كيف وافقت عليه وكيف مال قلبى ووجدانى إليه . كان حفل الخطوبة صغير بحضور مجموعة صغيرة من الناس لكن حفل خطوبتنا لم يكن حفلا لتطويق الأصابع بالدبل بقدر ما كان تطويق القلوب والعقول بالطموح والأهداف ، كم تمنيت رجل ينتمى إلى أجزائى وانتمى إلى أعماقه ، وفى نفس الوقت لا يكره استقلاليتى ، وأشجع ذاتيته ، فأنا فتاة تعشق الامتزاجات ، ليتنى رأيتك منذ أيامى الأولى يا شمس .

جاء حفل زفافنا جماعى " محمد وسارة ، أنا وشمس " . حفل زفافنا تم فى فناء حلمنا ، فى فناء مدرستنا ، بحضور الأطفال وأولياء أمورهم وبحضور جميع الأهل والأصحاب ، كم تكون سعادتك عندما ترى الفرحة فى أعين طفل .

هنا بدأت قصتي مع الحياة ومع أحلامي، تلك الأحلام التى تنتمى إلى عيون أطفال من حقهم الحياة .